الثقافة والحرب
رواية
ابابيل
داود سلمان الشويلي
الشؤون الثقافية العامة

مسابقة قادسية صدام للرواية

ابابيل

رواية

وزارة الثقافة والاعلام
دار الشؤون الثقافية العامة
بغداد ١٩٨٨

ابابيل

داود سلمان الشويلي

طباعة ونشر
دار الشؤون الثقافية العامة «آفاق عربية»
رئيس مجلس الإدارة
الدكتور محسن جاسم الموسوي

حقوق الطبع محفوظة
تحفظ جميع المراسلات
باسم السيد رئيس مجلس الإدارة

العنوان :
العراق - بغداد - الصفية
ص . ب ٤٠٣٢ - تلفون ٢١٤١٣ - فاكس ٤٤٣٦٠٤

«الإهداء»

الى أبطال الوحدة الجوية / ٣٩

طيارين وضباطاً ومهندسين وفنيين

هذه الصور البطولية التي

تجسد دورهم الكبير في قادسية

صدام المجيدة

مواقف

الحياة . الحب . والفضاء

١

عندما دخلنا القاعة الكبيرة ، استقبلت صفحة وجوهنا نسمات دافئة ، كانت مفاجئة لنا ، واحاطت باجسادنا تيارات الهواء الساخنة ... عندها نسينا ذلك البرد الصقيعي الذي كاد ان يجمد اطرافنا .

احسسنا بدفء القاعة وجوها ... عندما اكتست وجوهنا حمرة الدم الذي بدأ يسري في العروق التي جمد حركتها البرد الصقيعي الذي تركناه خارج هذه القاعة ..

قلت للرائد الطيار فاضل المهدي ، وانا اهمس باذنه بعد ان ملت برأسي قريب رأسه ونحن نضع اقدامنا على اول بلاطات القاعة المرمرية :

- هنا ستخلع ذلك الجلد الصقيعي ، وترتدي جلدا دافئا يشع إلفة ومحبة .

لم يضحك كعادته بصوت عال .. بل ابتسم .. حيث انفرجت شفتاه عن صفين من الاسنان اصفّر بياضهما من كثرة السكائر التي كان يدخنها يوميا .

جلسنا على تلك الكراسي التي اصطبغت هياكلها الخشبية المنحوتة

بلون ذهبي ، حيث التمعت عليها اشعاعات ضياء القاعة فبدت وكأنها تشع صفرة كاشعة شمس تموز التي افتقدنا دفئها في هذا البرد القارس .

كان جلوسنا حسب القدم العسكري ... هكذا علمتنا التقاليد العسكرية وكان الذي بجانبي من جهة اليمين الرائد الطيار فاضل المهدي ..

فقد ارتكن جالساً على الكرسي وكأنه يغالب تعب ساقيه وهي تحمل ذلك الجسد الذي اخذت السمنة طريقاً لها رغم مايقوم به من تمارين رياضية عنيفة مساء كل يوم ، وما يطبقه من منهج صارم في «الرجيم» حيث كان يُشاهد دوماً في قاعة العاب القاعدة وهو يرتدي (التراكسوت) الرياضي ذي اللون الازرق .

بعد أن مسح قطرات من العرق الذي بدأ ينز من مسامات وجهه بمنديله الابيض همس لي بصوت كالفحيح ..

ـ لقد سرت الحرارة في اعضاء جسمي كالنار ... وهاانا احسس بها تفتح مسامات جلدي لينز منها العرق مثل الينابيع .

ـ ستعتاد على ذلك .

هكذا اجبته وانا اضع ابتسامة صغيرة على شفتي اللتين ظلتا مزمومتين كي لايراها الضباط الذين يجلسون في الجانب المواجه لنا من القاعة ، حيث كان ضباط ركن القيادة يجلسون امامنا بالضبط ، نحن الذين سيكرمنا الرئيس القائد حفظه الله .

كان قد مضى على دخولنا القاعة أكثر من خمس دقائق بالضبط ، عندما دارت علينا فناجين القهوة العربية المرة .

كان ساقي القهوة شاباً في الثلاثين من عمره ، هكذا قدرت عمره وانا انظر الى يديه اللتين اخذتا توزع الفناجين بكل خفة ومهارة .. قلت مع نفسي : ربما سيتأخر قدوم السيد الرئيس القائد حفظه الله ... وقبل ان

اكمل حديثي مع نفسي .. سمعت الرائد الطيار فاضل المهدي يكلمني هامسا :

وقبل ان ينهي حديثه ، رأيته ينهض ... كنت انا اصغي له وعيني قد زرعتهما في صفحة وجهه الحليق لاراقب قطرات العرق وهي تتكون على صفحة وجهه الاسمر ... حيث تتكون شيئا فشيئا ... يترطب المكان اولا ،

ـ أتعرف ؟

وقبل ان اجيبه ، نظرت الى من حولي بنظرة مسحت من خلالها الجالسين في القاعة ، حيث وجدت رفاقي الضباط يتبادلون الهمس فيما بينهم :

ـ اعرف ماذا ؟

فرد علي وهو يقرب رأسه الى رأسي :

ـ ان الرفيق القائد حفظه الله يستقبل ضيفا كبيرا هذا اليوم .

ـ نعم ... لقد سمعت ذلك من خلال نشرات الاخبار .. واعتقد ان سيادته سيتأخر قليلا .

رغم انني لم اعرف ذلك مسبقا ... وان نشرات الاخبار النهارية لم تعلن مثل هذا الخبر ، لكنني اجبته هكذا لاغيضه بعد ان اغاظه ذلك العرق الذي ملأ جسمه وملابسه ، حيث اصبح منديله كقطعة اسفنج مليئة بالماء ولا اعرف ان كان يحتفظ بمنديل آخر غيره ام لا ... لكنني تركته باجابتي هذه مشدوهاً ، فسألني باستغراب :

ـ ولكن نشرات الاخبار لم تعلن ذلك ، فكيف عرفت ؟

اجبته لأزيد من حيرته واستغرابه :

ـ كما عرفت انت ياسيدي .

مسح وجهه بالمنديل ... وادار برأسه الى جهة اليمين حيث مد بصره الى الباب التي دخلنا منها ... ثم اعاد لي وجهه الاسمر الذي بدا لي رطبا وقال هامسا ـ

ـ الحمد لله ، لقد انتهى النهار ، وليس ثمة واجبات بعد .

ثم يتجمع ذلك العرق على شكل قطرة صغيرة بعدها تنزل على شكل خطّرفيع فتأخذ بطريقها قطرة اخرى وثالثة ، ودون وعي منه بذلك يعالجها بمنديله فيمسحها ويمسح وجهه كله .. كنت اراقب ذلك فوجدت فيه تسلية لي ، ولم اكن قد نبهته الى ذلك ... جعلته سراً لي في هذه اللحظات .

وجدت نفسي انهض حيث نهض ... وعندما انتبهت الى من في القاعة وجدتهم واقفين جميعا .. عندها وعبر الباب المفتوح قبالة الباب الذي دخلنا منه هلّ بطلعته البهية ذلك الوجه السمح ...

رجل تلوح السمرة على وجهه كراية عراقية عالية .. شامخ ببسمته المهيبة ...

ـ استاعد .

صاح بنا اقدم ضابط في القاعة .

عندها رنت في ارجاء القاعة صفقة واحدة احدثتها حركة احذيتنا على البلاط المرمري ... حيث تحركت الاقدام بانتظام على وقع الايعاز ، فتخشبت الاجساد احتراما ، وسكنت حركة الرؤوس اجلالا لسيادته .

كان السيد قائد القوة الجوية والدفاع الجوي قد دلف القاعة مع بعض ضباط القيادة العامة للقوات المسلحة بعد سيادته .

بدأت تلاوة المرسوم الجمهوري بمنحنا نوط الشجاعة .

لم اترك لعيني حرية الزوغان عن ذلك الوجه الذي ارتسمت على ملامحه

جدية عودناها عند سيادته ... انها جدية من يستمع لاول مرة لشيء ما .

شدّت مع نفسي قائلا : ماالذي يشغل هذا الفكر الجبار هذه الساعة ، هل من تكريمنا ، ام شيء آخر اكبر من ذلك التكريم ؟ هل هو الوطن ... الشعب ... الحزب ... الحرب ... الأمة العربية ... العالم ؟ هل ان تفكير سيادته ـ هذه اللحظة ـ منصبٌ في جو التكريم الذي نعيش انا ورفاقي الضباط لحظاته الجميلة ؟ أم ان ماقام به سيادته من محادثات مع ضيفه الكبير قد ترك ...

فجأة انتبهت الى نفسي وانا استرسل في هذه التساؤلات الطويلة عندما قلت وكأني اكلم شخصا آخر : كلا ... ثم حزمت امري لاجيب على اسئلتي تلك قائلا بهمس اشك في أن الرائد الطيار فاضل المهدي قد سمع ماقلت : حتما ان ذهن سيادته مشغول هذه اللحظة بالتكريم فقط ... نعم فان سيادته قد وهبه الله فكرا جبارا ... خلاقا ... متطورا .. يرتب الامور التي تشغله وما اكثرها ـ اكدت مع نفسي ـ بعلمية وواقعية قل مثيلها .

وقبل ان اضع حدا نهائيا لحديثي هذا ، انتبهت الى انني اقف مباشرة امام سيادته ، لاتفصلني عنه سوى مسافة قصيرة ادرت رأسي الى اليمين ، وهو تقليد عسكري ينم عن الاحترام والتقدير عندما نكون واقفين امام شخصية عظيمة كشخصية الرفيق القائد صدام حسين حفظه الله وهو يقلدنا نوط الشجاعة . ربت على كتفي وهنأني ..

ـ شكرا سيدي ـ

ثم وجدت نفسي احدثه خاشعا ـ

ـ سيدي ... انت صاحب الفضل الكبير ... ولولا سيادتكم لما وصلت القوة الجوية الى هذه الدرجة من القوة والكفاءة ... ولما تشرفنا بالمثول امام سيادتكم لنحظى بهذا التكريم الكبير .

بدأت استمع لما يقوله سيادته ، بعد ان جلس ، وجلسنا نحن جميعا .. عندها ابتعدت عن تفكيري جميع الاشياء ، التي كانت عالقة فيه قال سيادته :-

« - نحن فخورون بكم ....»

قلت مع نفسي وكأني اجيب سيادته :-

- ونحن فخورون بكم ياسيدي :

« - ان القوة الجوية صارت رمزا ليس محل فخر
فقط العراقيين كلهم والقوات المسلحة ، بل
صارت رمزا من رموز الوطنية الشامخة في
معنوياتها العالية وفي ادائها الدقيق في
الدفاع عن الوطن ومن بين رجال القوة الجوية
من يسجلون يوميا مفخرة جديدة يؤكدون بها
تمسككم بهذه المكانة العالية والرائعة وعملكم
كان من الاعمال التي اكسبت القوات المسلحة فخرا
خاصا واعطتها ارجحية على العدو ....» .

كنت احس ساعتها انني اطير ليس في جو هذه القاعة التي اصبحت هذه اللحظة ضيقة بحيث شعرت بأنني لااستطيع ان اقوم بعمل مناورة الدوران بزاوية تسعين درجة الى جهة اليسار ... لقد اصبح الان كل شيء امامي بلون السماء ... هكذا بدا لي الفضاء خارج مقصورة الطائرة من خلال زجاج غطائها بعد ان سحبت بيدي اليمنى عصا القيادة المثبتة بين ساقي الى الخلف ... عندها بدأ عداد الافق الصناعي يصطبغ شيئا فشيئا باللون الابيض .. كان ترتيبي الثاني بعد قائد التشكيل مباشرة ... وعندما

وصلت الى الارتفاع المحدد ، حركت عتلة رفع العجلات الى الاعلى احكمت تثبيتها جيدا ، فشعرت بعد ثوان باغلاق ابواب مخابيء العجلات .

كان لون عداد الافق الصناعي مازال ابيض عندما سمعت قائد التشكيل يتحدث من خلال جهاز «الآرتي» مع محطات السيطرة الارضية لقاطع الدفاع الجوي مبينا لهم مكانه واتجاهه ومعلومات اخرى ... نظرت الى عداد الارتفاع ، كان مؤشره يتحرك باتجاه حركة عقرب الساعة مبينا لي وضعية الطائرة وهي في حالة التسلق ... عندها تركت لعيني حرية الحركة فبحت ببصرها لوحة العدادات المثبتة امامي لاتأكد من ان اجهزة الطائرة تعمل بصورة جيدة ... عندها شغّلت جهاز الطيار الالي .

كنت مازال مصغيا بانتباه الى مايقوله سيادته ، كانت كلماته تمر في القلب فتترك فيه اثرا منعشا ... عندها تذهب الى مراكز الذاكرة الحافظة في المخ لتستنسخها بعد ان تترك للفكر حرية توسيع مداركه وفهمه للوضع العام الذي يتحدث عنه سيادته .

كان سيادته يتحدث فنلمح - نحن الضباط المكرمين - على وجهه تلك الثقة التي تنتقل الى سامعيه كالشرارة الوهاجة ، ونرى ذلك الاصرار الواعي بقدرة الشعب العراقي وجيشه العظيم وبحتمية النصر مع قائد من طراز صدام حسين حفظه الله فيزيدنا ذلك اصرارا على التواصل والنصر .

«إن الهدف الذي نضربه مرة علينا ان ننتهيا
لان نضربه عشر مرات حين يصلحونه في اي وقت»

قلت مع نفسي مؤكداً باصرار :-

- سوف لاتترك لهم ياسيدي فرصة لتصليحه ، سنمحي كل هدف عن وجه الارض .

كان في شوق لأن اقول ذلك بصوت عال ، لكن ماتعلمناه من آداب الاجتماع دفعني الى ان احدث نفسي وبكل ثقة واصرار وانا اصغي لحديث سيادته .

« ـ عندنا خبر لانقوله لكم عن تزايد امكانياتكم في القوة الجوية بشكل هائل من كل انواع الاسلحة القادرة على الدفاع عن العراق واعطاء الدروس التي يستحقها العدو ولكن انتم تعرفون انه منذ قيام الحرب ولحد الان كم ازدادت امكانياتكم من ناحية الحجم والتطور ومن ناحية النوع»

كنت اتمنى وانا استمع لكل كلمة من حديث سيادته الى ان ارفع يدي واترك لاصابع كفي حرية الحركة والامساك باصرار بالنوط الذي قلدني اياه سيادته قبل دقائق . لكنني كنت احجم عن فعل ذلك مؤجلا القيام بذلك الى مابعد خروجنا من هذه القاعة .

كان في شوق الى لمس هذا النوط الذي كان ليس تكريماً لي فحسب بل لكل العسكريين الذين عملت معهم . ولعائلتي التي احسنت تربيتي ولحبنا الكبير يا(أمل) ... هذا مهرك الذي كنت ترغبين ... لقد وفيت بوعدي لك يا (أمل) وتزين صدري بنوط الشجاعة .

«نحن نعرف مكانة القائد دائما في نفوس العراقيين بشكل خاص وفي نفوس العرب بشكل عام لكن العراقيين يتميزون في وضع الاعتبارات المرجحة للقائد عندما يكون هو في معنويات جيدة فعندما يكون آمر السرب معكم في هذه المهمة كنا متأكدين كم ازدادت معنوياتكم اكثر»

بطرف من عيني ، وبالتفاتة صغيرة القيت نظرة الى المقدم الطيار طارق السعدوني الذي كان جالسا في الركن الأيمن من القاعة ... عندها مرت بخاطري تلك اللحظات التي طرت بها فرحا وانا اخرج من غرفته مع

الرفيقين الرائد الطيار فاضل المهدي والنقيب الطيار محمود الشاكري بعد ان اخبرنا قائلا :ـ

ـ سوف يقوم تشكيلنا بضرب واحد من اهم المراكز الاقتصادية للعدو وفي عمق اراضيه .

ثم نظر الينا كما ينتظر سماع سؤال من احدنا ... لكنه انهى حديثه معنا قائلا :ـ

ـ سنعرف جميع التفاصيل في غرفة المركات .

٢

عندما ترك النقيب الطيار سعدون العاكف مقعده في العجلة ذات اللون الخاكي امام الباب الزجاجي لمقر السرب ، كانت احدى يديه تمسك بالخوذة البيضاء التي خط في مقدمتها اسمه باللون الازرق الفاتح ، لون السماء الصافية بحروف عربية جميلة .. وتحتها كتب الحرفين الاولين من اسمه واسم والده بحروف انكليزية . اما يده الاخرى فقد ترك بين اصابعها سيكارة السومر بعد ان اشعلها وهو داخل العجلة .

هكذا كان يفعل دائما ... يشعل له سيكارة بعد ان يترك الطائرة ... يوقع في السجل الخاص بتنفيذ الواجبات ، ليذهب بعد ذلك مع رفاقه الطيارين اعضاء التشكيل المنفذ للواجب الى غرفة الحركات لتقديم ايجاز كامل عن سير تنفيذ المهمة امام آمر القاعدة وآمر جناح الطيران ... وعندما يضع جسده ـ الذي اصابه بعض الخدر من طول فترة الجلوس على كرسي القذف داخل المقصورة ـ على كرسي العجلة يبدأ بممارسة عادته تلك ـ التدخين ـ ... حيث يقوم بسحب نفس طويل اول مرة من سيكارته يجد بعدها لذة

وانتعاش يصيب كل خلايا جسمه ... عندما يمد بصره من خلال نافذة العجلة التي تسير على الطريق المعبد الذي يربط ملاجيء الطائرات بغرفة الحركات وبمقر السرب ... فيحلو له ذلك عندما تلوح له صورة (أمل) مرتسمة على صفحة زجاج نافذة العجلة ...

بعد أن دخل الغرفة الصغيرة التي رصفت جوانبها مجموعة من الدواليب الخشبية ذات البوابة الواحدة ... تقدم الى احدها ... كان الدولاب الخاص بلوازم ومعدات الطيران التابعة له ... فتحه ، وضع الخوذة الواقية البيضاء على واحد من رفوفه ، ثم بدأ يخلع بدلة الضغط التصفية (الجي - سي) التي كانت محيطة بجسده من منطقة البطن والساقين ... ـ فتح سحاباتها الطولية الممتدة على جانبي ساقيه من الداخل ... حرر أقفالها النسيجية ذات الاسنان الصغيرة كجلد قنفذ صغير ... ثم رتبها جيدا ووضعها على رف آخر من رفوف الدولاب ...

عندما انتهى من ذلك ، انتبه الى ان سيكارته قد اكلت نارها ماقيها من طول ... ففتش عن منفضة ليرمي فيها ذلك العقب الذي اصبح طرفه اسود بعد ان حرقته جمرة التبغ ... وعندما لم يجدها ، حمل عقب سيكارته بين اصابعه وكانه يحمل شيئاً بغيضاً عنه لايريد ان يدنس اصابعه به وخرج ..

× × × × × × × × × × × ×

× × × × × × × × × ×

قبل ان يدلف داخل بهو الاستراحة ... توقف قليلاً في فتحة بابه ... حدق في الداخل ، اغمض عينيه لفترة قصيرة وفتحهما لتتعود على ماقيه من انارة ضعيفة صنعتها مجموعة الستائر السميكة التي غطت نوافذه .

رأى رفاقه الطيارين الذين كان معهم قبل لحظات يطير في فضاء العمق الايراني ، قد سبقوه اليه ... ادخل جسمه كله داخل البهو الذي كان جوه قد اصبح دافئا بفعل اجهزة التدفئة التي تعمل بالماء الحار . سلم على رفاقه الضباط الجالسين ، وشكر من هناه بسلامة العودة ، ثم توجه مباشرة الى منفضة لاحت له على احدى المناضد الخشبية الصغيرة ... رمى فيها ذلك العقب البغيض ... وقبل ان يجد له مكاناً للجلوس ، سمع صوت الملازم الاول الطيار علي البصري وهو ينادي عليه :ـ

ـ سيدي نقيب سعدون ، هل نكمل لعبتنا ؟

كان قبل ان يقوم بتنفيذ واجبه بربع ساعة تقريبا ، قد بدأ لعب الشطرنج مع رفيقه الملازم الاول الطيار علي البصري .

لم تكن لعبة الشطرنج التي كان يلعبها دائماً ترفاً او تسلية وقضاء وقت ، بل كانت بالنسبة له رياضة فكرية تعلم اسرارها منذ ان كان طالباً في المرحلة المتوسطة عندما كان يقضي اوقات فراغه في مركز شباب حيه السكني ... وها هو يلعبها مع رفاقه الطيارين بكل مهارة واتقان ... وكثيراً ماكان يردد امامهم قائلا :ـ

ـ ان الشطرنج رياضة فكرية ... وعلى الجميع وخاصة الطيارين ان يتعلموا أسرارها ، انها تنمي المدارك ، وتجعل الذهن متحفزاً بصورة جيدة ، وتمنح لاعبها وخاصة الطيارين سرعة البديهة وسرعة الاستجابة ورد الفعل لاي فعل معاد وكذلك دقة في العمل والتصويب .

وكان يؤكد دائما عندما يلعب الشطرنج قبل تنفيذ اي واجب على العدو القارسي امام رفاقه الطيارين :ـ

ان لعبة الشطرنج خاصة قبل تنفيذ الواجب تعتبر تمريناً لتنشيط الفكر وتحفيز الذهن .

جلس على الاريكة بمواجهة رفيقه في المكان الذي كان جالساً فيه قبل تنفيذ الواجب قبل اكثر من ساعة ونصف ... حيث كانت رقعة الشطرنج كما تركها تحتل مكاناً على الطاولة الكبيرة التي تفصل بينهما ... وكانت هناك مجموعة من احجار الشطرنج المتنوعة بلونيها الابيض والاسود مركونة بغير انتظام على الطاولة قرب الرقعة التي توزعت بين مربعاتها البيضاء والسوداء مجموعة اخرى من أحجار الشطرنج ... ملكان اسود وابيض ... وزيران ، ثلاثة خيول ، قلعة سوداء ... قبل اسود ... ومجموعة من جنود الشطرنج .

قال له الملازم الاول الطيار علي البصري :ـ

ـ الدور لي .

فرد عليه ، بعد ان اخرج له سيكارة من علبة السومر ذات اللون الاسود واشعل طرفها بمقدحة صغيرة ، ثم دسها بين شفتيه بآلية :ـ

ـ هذا صحيح .

ثم امال رأسه اليه ، وبصوت خفيض سأله :ـ

ـ هل اتصل احد بي بالهاتف ؟

كان الملازم الاول الطيار علي البصري مازال ينظر الى رقعة الشطرنج واضعاً رأسه بين راحتي كفيه وهو يسند كوعيه الى الطاولة التي امامه شاغلا فكره بالنقلة التي سيقوم بها ... ودون ان يرفع رأسه اجابه قائلا :ـ

ـ كلا ... هل تنتظر مكالمة من احد ؟

رد عليه وهو يأخذ نفساً عميقاً من سيكارته :ـ

ـ نعم .

سأله الملازم الاول الطيار علي بخبث ، وابتسامة صغيرة انفرشت على شفتيه وبدت من بين راحتي كفيه :ـ

ـ من بغداد ؟

كان فمه ممتلئاً بالسيكارة ... وبعد ان امتص منها نفساً عميقاً سحبها من شفتيه اليابستين ورد عليه بعصبية تلبست كلماته :ـ

ـ هذا لايهمك .

ثم اطلق من فمه سحابة من الدخان امتلأ بها الهواء الذي يفصل وجهه عن وجه رفيقه الذي رفع رأسه للتو بعد ان حرره من بين راحتي كفيه فحرك يديه اللتين راحتا تشتتان سويرات الدخان المتشكلة امامه

ثم ادار رأسه الى حيث كان يجلس الملازم الاول الطيار حسين ... صاح به وهو يضع ابتسامة على شفتيه قرأ من خلالها رفيقه الذي انتبه له ، حيث سؤاله :ـ

ـ ملازم اول حسين ، هل اتصل احد بالنقيب سعدون ؟

باستغراب متصنع ، رد عليه الملازم الاول الطيار حسين :ـ

ـ وهل أنا مأمور البدالة ؟

ثم ضحك بصوت عال كعادته عندما يسأل مثل هذا السؤال ، وسرت الضحكة تلك على شفاه رفاقه الطيارين الموجودين في البهو .

× × × × × × × × × × × ×

× × × × × × × × ×

منذ يومين وهو ينتظر تلك المكالمة الهاتفية ، هذه المكالمة التي ستكون اساساً لبناء حياة زوجية هانئة مستقرة مع (امل) ... (امل) ابنة عمه التي تصغره بسنين ... (امل) التي بنى على علاقة حبه معها كل آمال حياته فلم يترك لعينية ، ولا لقلبه حرية التعرف على فتاة اخرى ..

كان كل امله في (امل) .. (امل) وليذهب الاخرون الى ..... ولكن لا ... هكذا قال لها مرة :- لااريد ان اسيء لاحد ... ان والدك هو عمي ، وان والدي هو عمك ... وانهم اخوة من اب وام ... اما مشاكلهم فلتبق بينهم ... ارجو - اكد لها متوسلاً - الا تؤثر تلك المشاكل على علاقتنا .

منذ ان عرفنا الحياة ، ونحن نعرف ان الحاج فوزي العاكف والحاج فاخر العاكف اولاد الحاج محمد العاكف هم على خلاف ... فلم تفلح معهم جميع الوسائل والطرق التي سلكها الاهل والاقارب في اقامة الصلح بينهما ، او تقريب وجهات النظر ، كان كل واحد منهم يعيش في واديه الخاص ... اما نحن فارجو ان نعيش في وادينا الخاص بنا ... حياتنا ملك لنا ... حينا هو الاساس وهو الباقي رغم خلافات الاهل .

كانت يد الملازم الاول الطيار علي البصري قد وجدت لها مكاناً على كتفه ، فهزته عدة مرات ، عندها انتبه الى رفيقه الذي قد انتهى للتو من نقل احد جنوده على رقعة الشطرنج :-

- ها ... اين وصلت ياسيدي ؟

سأله الملازم الاول الطيار علي وهو يراه غارقا في افكار لم يعرف عنها شيئاً وكمن يحدث نفسه ، قال بصوت هامس :-

- الى امل .

- العب ساغلبك حتما ... سانتصر عليك يابطل الشطرنج سوف تنتزع منك

ذلك اللقب الذي توجت به نفسك ...

ثم تابع بفرح :-

- هيا العب ياسيدي .

احس ان في كلمات رفيقه بعضاً من الحقيقة التي بدات تنكشف امام عينيه ... فهاهي افكاره القلقة والحائرة تجول برأسه فلم ينتبه الى الرقعة التي امامه فأخذت الأت الشطرنج الخاصة به تتهاوى امامه الواحدة بعد الاخرى كأفراد جيش مهزوم ، تحت ضربات الات رفيقه التي اخذت تتقدم نحوه .

وقبل ان يقوم باية حركة على رقعة الشطرنج ، اخرج علبة السكائر ... اشعل منها واحدة ، وضعها في فمه ، وعندما ملأ اصابعه بفيل الشطرنج سمع صوت حركة في البهو ... فادار راسه الى الجهة التي يجلس فيها رفاقه الضباط ، وجدهم قد نهضوا من اماكنهم ... عندها ترك الفيل على الرقعة ، ونهض ، ونهض معه رفيقه .

كان آمر السرب المقدم الطيار طارق السعدوني ، قد وجد له مكاناً بين ضباطه الطيارين على احد الاراتك ... وبعد ان انتهى الجميع من تقديم تحيات المجاملة مع آمرهم ... بدأ المقدم الطيار طارق يتأمل الوجوه ... وكأنه يراها لاول مرة ... وعندما وقع بصره على النقيب الطيار سعدون العاكف والملازم الاول الطيار علي البصري سألهم :-

- من الغالب ؟

اجابه الملازم الاول الطيار علي البصري بثقة وجدها في نفسه وهو يجد رفيقه يعيش في دوامة من الافكار التي تدفعه بين الحين والآخر الى أن يستل احدى سكائر السومر :-

- ساغلبه حتماً ياسيدي .

ومن بين ابتسامة على شفتين قلقتين ، رد النقيب الطيار سعدون العاكف قائلا :-

- سيدي ، العبرة في النتيجة .

ثم ران على القاعة صمت ، حسبه الجالسون جاثماً على صدورهم ... كان صمتا ثقيلاً لم يعرفوا له سبباً ... ودارت الحدقات في العيون كأنها تبحث عن شيء ما .

كانوا قبل ان يدخل عليهم آمر السرب ، ويجلس بينهم ، منطلقين في احاديثهم ومزاحهم المعهود ... اما الآن ، فقد توقف كل شيء ... تململ المقدم الطيار طارق السعدوني في مكانه ... ثم اعتدل في جلسته ، واخذ يتأمل وجوه طياريه الشباب الواحد بعد الآخر ... وعندما استقرت عيناه على وجه النقيب الطيار سيف الناصر سأله :-

- كيف هي احوال الاهل ؟

رد عليه النقيب سيف بأدب :-

- الحمد لله سيدي ...

كان الكل يعرف مأقصده الآمر بكلمة الأهل ، عندما سأل النقيب الطيار سيف .. حيث مازالت زوجته تنتظر مولودها البكر في المستشفى بعد اكثر من خمس سنين قد مرت على زواجهما .

عندما سأله مرة اخرى :-

- هل تحتاج الى اجازة ؟

فرد عليه شاكراً :-

- كلا سيدي ... ليس الآن على الاقل ، والدتها معها ، فأكد له الآمر قائلا :-

- عندما تحتاج الى الاجازة ، فلا تتردد في طلبها ...

اجابه :-

- شكرا سيدي .

ساد صمت جديد في جو البهو ، قطعته حركة الملعقة في استكان الشاي الذي قدمه (المعين) الى آمر السرب .

اكثر من ضابط عرف من خلال حدسه كان هناك أمراً مايريد ان يبلغه الآمر لهم ... فالعدو قد بدأ هجومه على منطقة الفاو ليلة أمس .. ولكن مأباله صامت ... تساءل النقيب سعدون العاكف مع نفسه - وقبل ان يذهب تفكيره في شتى الاتجاهات ، تحدث المقدم الطيار طارق بعد ان انهى شرب شايه ، فقال :-

- من يريد الاشتراك في واجب مدبر ، سنقوم بتنفيذه بعد ايام ؟

كان الجميع قد اصغى لما يقول ... نهض احد الضباط الى حيث جهاز التلفزيون الذي كان يقدم احد برامج الصباح ... خفض من صوته ... عندها تعالت اصوات الضباط جميعهم ... وبصوت واحد كانت اجابتهم على سؤال آمرهم :-

- نعم سيدي .

نظر آمر السرب الى الوجوه التي امامه ... وجد ان ايدي جميع طياري سربه مرفوعة ... فالكل يريد الاشتراك في هذا الواجب الذي له خصوصيته ... ودون ان يحدثهم عما فكر فيه ، وجد نفسه تتحدث معه شخصيا ... (- صحيح ان الواجبات التي يقوم بتنفيذها سربه كثيرة ، لكن مثل هذه الواجبات ، لها خاصيتها المميزة ذلك انها تنفذ في العمق الايراني وفي هذا الوقت الذي تحتدم المعارك فيه على جبهتي القاطعين الثالث والسابع ... فلهم الحق هؤلاء الشباب ان يطلبوا الاشتراك بمثل هذا الواجب .)

عندها شكرهم قائلا :-

ـ اشكركم جميعا ... اعرف انكم ترغبون في الاشتراك في هذا الواجب ... ولكن ربما نسيتم ان هناك الكثير من الواجبات التي يتطلبها الموقف على جبهة القتال ... ومازالت هناك واجبات اخرى وفي العمق الايراني ستقومون بتنفيذها جميعا .

والايام امامنا صادام الصدر الايراني الغاشم لايريد السلام ، ويرفض اليد التي مدت له بالخير .

لم يعرف ان كانت كلماته هذه قد اجابتهم عن تساؤلاتهم حول امكانية اشراكهم في مثل هذه الواجبات ام لا ... مما دفعه الى ان يقول لهم وكأنه يعتذر لعدم اشراكهم جميعا ...

ـ ان القيادة تعرف جيدا ، انكم متلهفون للاشتراك في جميع الواجبات التي تنفذ في العمق الايراني ... وان لكم الحصة الكبيرة فيها ... وان الموقف مازال لصالحنا ..

كان هو يتحدث معهم ، يعرف مدى تلهفهم وشوقهم لضرب العدو في داره ... وكانت ثقته كبيرة بطياري سربه وبقدرتهم على تنفيذ جميع الواجبات التي توكل لهم ... ورغم ماعرف عنه من اجادة الحديث ،

لكنه وجد نفسه امام ضباط الطيارين كمن يخبيء شيئاً عنهم ، فأخذ يداريهم في الحديث ... عندما قال لهم وكأنه ينزع عن جسده حملاً ثقيلاً لاطاقة له به :ـ

ـ لكي لاأطيل الكلام معكم ، تقرر اشراك اربعة طيارين في تنفيذ الواجب وسنعد التدريب صباح يوم غد ان شاء الله .

ثم يعلن اسماء الطيارين امامهم ، لكنه اخذ يجول ببصره في وجوههم التي بدأت على ملامحها بعض التعابير التي قرأ فيها مدى انزعاجهم والذي يبرره مباشرة حديث النقيب الطيار ياسين عبد الرحمن ، الذي كان حتى ذلك

الوقت يلوك الكلمات التي تريد ان تنطلق من بين شفتيه ... لكن الاخلاق العسكرية تمنعه عن ذلك مادام امر السرب هو الذي يتكلم .

ـ سيدي ... هناك احساس في نفوسنا ، ليس هو احساس بالغبن او الغيرة ... لكنه احساس من يترك مكانه على احد السواتر الامامية ويعود الى الخلف ... او كمن يترك ارض المعركة وهي محتدمة ويعود الى الخلف مبرراً ذلك بشتى الاسباب الواهية .

كلنا ياسيدي نريد الاشتراك في مثل هذه الواجبات وفينا احساس المقصرين عن تأدية واجباتهم ..

المعركة على اشدها ، ونحن قابعون هنا ننتظر اي واجب يوكل لنا ، لكن دون نتيجة .

كان النقيب الطيار ياسين عبد الرحمن هو ضابط التوجيه السياسي للسرب ... شاب في الخامسة والعشرين من عمره ... يحمل نوطي شجاعة لاشتراكه بتنفيذ مهمتين ناجحتين في العمق الايراني ، حيث قام مع بعض رفاقه بتدمير هدفين اقتصاديين مهمين ... فكان بحق واحد من ابطال السرب الذين تزينت صدورهم بانواط الشجاعة . عندما انهى حديثه مع آمر سربه ، نظر الى من حوله ، فرأى وجوه رفاقه الطيارين وهي مهللة بالفرحة والسرور ... ووجد على وجه آمر السرب فرحة تبينها من خلال الابتسامة التي ارتسمت على شفتيه .

قال المقدم الطيار طارق السعدوني ، وهو يوجه كلامه الى النقيب الطيار ياسين :ـ

ـ نقيب ياسين ... اعرف شعوركم هذا جيدا ... والقيادة غير بعيدة عن هذا الشعور الوطني ... ونحن لاننكّركم هذه الساعة ... ولاتنس ان القيادة هي التي تقوم بالتخطيط والتنسيق ... وهي اعلم بمجريات الامور ... اليس كذلك ؟

لم يكن سؤاله الاخير موجها الى النقيب الطيار ياسين عبد الرحمن بل كان موجها الى الملازم الاول الطيار خالد التوفيق الذي اجابه على الفور :-

- بلى سيدي .

كان من عادة المقدم الطيار طارق السعدوني ، اشراك مستمعيه من ضباط سربه في الحديث الذي يدور بينه وبينهم ، ليضع الجميع في تصور عام عما يدور حولهم ... عندها تابع حديثه مع النقيب الطيار ياسين قائلا :-

- لاتنسى نقيب ياسين ، ان السيد آمر القاعدة يريد التحدث معك . لم يشأ ان يسأل آمره عن السبب ، فهو يعرف ذلك جيدا ... - حيث كان قبل ايام قد طرح امام رفاقه الطيارين وجهة نظره عندما يحدث لطائرته اي خلل فني ، او عندما تواجهه اية صعوبات اخرى وهو يطير في الاجواء الايرانية ... حيث اخبرهم انه يرفض ترك الطائرة ، ليترك لاعدائه فرصة اخذه اسيرا ... ثم اكد اما ان احاول الوصول بها الى ارض الوطن سالما او الاستشهاد داخلها ... حلان لاثالث لهما ... ثم قال متفكها .. ياسود .. ياابيض .

وعندما سمع آمر السرب بتصميمه على ذلك استدعاه الى غرفته ، حيث ناقشه في ذلك محاولاً افهامه ان عملاً مثل هذا هو الانتحار ... وان القوة الجوية هي بحاجة له ... حيث ستفقد واحداً من خيرة طياريها .

ثم قال له :-

- نقيب ياسين ، انا اعرف ان مثل هذا الموقف هو قمة الشجاعة والبسالة والتضحية ... ولكن لاتنسَ ان الوطن بحاجة لك ، وان القذف بالمظلة خارج الطائرة المعطوبة او المصابة فيه احتمال كبير في الوصول الى ارض الوطن سالما ، وهناك الكثير من الحوادث التي وقعت للطيارين على ارض العدو واستطاعوا العودة سالمين الى ارض الوطن .

واخذ يحدثه عن بعض الحوادث التي عاد الطيار بعد تركه الطائرة الى

ارض الوطن سالما ... قصص من الحرب العالمية وقصص من الحرب العراقية الايرانية ... ولكن النقيب الطيار ياسين عبد الرحمن وجد نفسه يقول :-

- ولكن ياسيدي ، ان ...

وقبل ان يكمل حديثه بادره آمر السرب قائلا :-

- ارجو ان تفكر جيدا بهذا القرار ... ونحن لانريد ان نفقدك ... ان القوة الجوية بحاجة لك وبرفاقك الطيارين الابطال ... واعترف ان موقفك هذا هو موقف بطولي نادر .

وعند ذلك قرر آمر السرب مع نفسه ان ينقل امر هذا الضابط الطيار الى آمر القاعدة ... ربما يستطيع ان يغير من قراره هذا ..

× × × ـــــ × × ×

٣

كانت المسافة التي تبعده عن غرفة آمر السرب تعد بالامتار ، وقف النقيب الطيار سعدون العاكف قرب الحاجز الزجاجي الذي يحيط بحديقة صغيرة تقع في مركز البناية .

كانت القواطع الالمنيومية محكمة الشد على زجاج شفاف مربع الشكل يفصل بين الممرات التي تقع عليها غرف البناية وبين تلك الحديقة التي زرعت فيها بعض الازهار والشجيرات الصغيرة .

وقف قرب أحد تلك الالواح الزجاجية والتي صممت على شكل شباك وسط تراكيب هذا الحاجز الزجاجي ... امسك بمقبضه الالمنيومي الصغير وادارة الى جهة اليسار ثم سحبه اليه فانفتح ..

مسحت وجهه نسمة هواء باردة عندما احس بهدوء لذيذ يسري في اعصابه التي احس بتوترها قبل لحظات ..

هل يكلمه الآن ؟ ام يرجيء ذلك الى وقت آخر ؟ .

تساءل مع نفسه وهو يسحب نفساً عميقاً من سيكارته التي اخذ تبغها الملفوف بالورق الابيض يحترق تحت غطاء خفيف من الرماد الابيض

الشوب بيعض السواد ..

ظل واقفا امام الشباك متلذذاً باستنشاق هذا الهواء النقي الذي احس به يغسل مافي رئتيه من هواء البهو الذي اصبح وخماً بعد ان امتزج بدخان السكائر .

ماالذي سأقوله للآمر ، هل اخبره بكل شيء ، كلم نفسه وكأنه يكلم شخصا اخرا ..

هل اطلب منه الاستشارة ام اطلب منه ان يقوم بفعل ما ؟

كانت الاسئلة تلك قد ازدحمت في رأسه وهو مازال متردداً بين الدخول على الآمر في غرفته او الرجوع الى البهو ، فلم يجد لها اجابة تشفي مافي نفسه من قلق بدا ليس على وجهه الذي اصفر قليلاً وهو يجد نفسه قريبا من غرفة الآمر ، بل في ذلك الوجيب الذي اخذ يلف قلبه وروحه المتلهفة الى ان يسمع صوت «امل» ... ان يراها ... يكلمها ... يطلق ذلك الامتلاء غير المنظم الذي وجده يزدحم في رأسه .

رمى السيكارة على بلاط الممر وداسها بحذائه ... كانت المرة الاولى التي يفعل ذلك ... فالوقت يمر سريعا ولامجال للبحث عن منفضة للسيكائر ... عندها ردد مع نفسه :- يجب ان اكون صريحاً مع نفسي ... يجب ان ابعد ذلك القلق القاتل الذي لفني لفا ... علي ان احزم امري واطلب منه ماأريد ... سوف لن يخذلني ... فاني اعرف اخلاقيته لقدم الطيار طارق السعدوني ... انه رجل اخلاق ... رجل اجتماعي يعرف كيف يصل الى مراده باخلاقية ... سأطلب منه ذلك لاجل عيونك يا (أمل) ... صدقيني انني سوف امد جسدي جسرا للوصول اليك ... الا تثقين بي يا «امل» ؟ .

كانت «امل» مازالت واقفة قرب احدى الاشجار المزروعة في متنزه الزوراء ... والوقت مازال مبكرا لغياب الشمس ... اما هو فقد جلس على

احدى الارائك الخشبية المنتشرة في ذلك المتنزه ... كانت هي تمسح بمنديل ورقي ماتلألأ في عينيها من سائل زجاجي ... ادارت له وجهها دنت منه خطوات ... عندها انتصب هو واقفا .

قالت له :-

- سعدون وانا ، الا تثق بحبي لك الا تثق بي ... بعلاقتي معك ؟

كانت كلماتها تأتيه محملة بحزن احسه ينتشر على صفحة وجهها التي تعكر صفوها ..

قال لها وهو يقترب منها :-

- (أمل) انا احبك وسوف لن يأخذك مني احد ... سأدوس على اية قوة تأخذك مني ... افهمت ؟

- ولكن كيف .. ؟ قل لي ياسعدون كيف تتصرف .. اتعرف طريقا يسهل لنا الامور ؟ .

سكتت (أمل) وكأنها تريد ان تستجمع افكارها التي اخذ القلق يصيبها ، وتلفها الحيرة من موقف أبيها ، ثم وبصوت خفيض همست له :-

- سعدون أنا لك مادامت الحياة امامنا .

كانت هي قد ابتعدت عنه قليلا عندما رأت بعض المتنزهين يقتربون منهم ... اما هو فقد عاد الى مكانه ... جلس ساكتا ، صمت خيم عليهم ... فأحس بقلبه يخفق بسرعة بين ضلوعه وكأن قوة اضافية تسرع شرياته .. اما اصابعه فقد اخذت تعبث بشيء غير مرئي ... تشابكت فيما بينها ... ثم انحل تشابكها ... عندها سمع أمره يسأله :-

- نقيب سعدون ، أنا اعرف كل التفاصيل ، ولكن قل لي ماالذي تريده مني ؟ .

لم تكن «امل» بالنسبة له بنت العم فحسب ، ولم تكن الحبيبة فقط بل

هي الحياة ، حدث نفسه ، الحياة التي تنبض في روحك ياسعدون ... ويخفق القلب لها ...

ـ اتسألني ياسيدي وانا اتيتك لآخذ منك اجابة عن اسألتي ؟

كان في صوته بعض من الحيرة وبعض من الالم الذي تلبس الكلمات التي قالها لأ...

ـ ارجو المعذرة ياسيدي عن مقاطعته ... ولكنني لاأعرف كيف اتصرف مع والدها ، اقصد عمي ، حتى والدي قد تغير كثيرا ، وغير موقفه من زواجنا .

كان المقدم الطيار طارق السعدوني قد عرف بحكاية حب النقيب الطيار سعدون العاكف لابنة عمه الذي رفض تزويجها منه ... لقد سمعها اكثر من مرة من بعض الضباط الطيارين ، ويعرف مدى الحيرة والالم والقلق التي يعيشها هذا النقيب الطيار الشاب الذي كان صباح هذا اليوم يرافقه وهم يغيرون بطائراتهم المحملة بغضب العراقيين على واحد من الاهداف الاقتصادية والحيوية في العمق الايراني ، ويعرف مدى دقة الاصابة التي احدثها هذا الطيار الذكي ومدى التدمير الشامل الذي الحقه بهدفه ، ولكن ـ تساءل مع نفسه ـ هل يترك احد ضباطه دون ان يجد لمشكلته حلا ؟ .

سوف لن يخذله ، حتى لو وصل به الامر الى ارسال مجموعة من الضباط ذوي الرتب العالية لاقناع والدها ، ولكن كيف يتصرف مثل هذا الوالد وفي زماننا هذا مثل هذا التصرف ؟ كيف وهو ابن اخيه ؟

نظر اليه ، وجده قد خفض رأسه الى الاسفل ، وتشابكت اصابع يديه امام وجهه فأدرك مدى الحيرة والقلق اللذين يعيشهما هذا الشاب هل يفكر بها الان ؟ تساءل مع نفسه ، ام أنه ...

ـ من صليل الى ريم / ٢ كيف تراني أحب ـ

كان صوت الآمر يأتيه عبر جهاز (الآرتي) محملا بالثقة والمودة كما عهد ذلك فيه .

ـ حسن جدا سيدي .

وبدأت نداءاته الى بقية اعضاء التشكيل ... سالهم ليقف على سلامة طيرانهم ، لانه بعد لحظات سيدخل معهم الاراضي الايرانية .. عندها سيخيم عليهم الصمت ، الصمت الذي ينزرع في اجهزة المكالمة .. الصمت المطلوب دائما في مثل هذه الواجبات .

كانت كل الاجهزة المثبته امامه على اللوحة تبين له سلامة اداء اجهزة الطائرة ... وكان المقدم الطيار طارق السعدوني يقودهم الى الهدف المطلوب تدميره بكل دقة وثقة وامان .

ـ ولكن ، الا ترى ان موقف والدك صعب أيضا .

لم يجبه ، لقد قذف السؤال اليه بكل قوة ... كان سؤاله مفاجئة للنقيب سعدون ، اعاد له أصعب المواقف التي مرت به .. ماذا يقول له هل يخبره بان والده رفض اساسا مناقشة مثل هذا الموضوع منذ اسبوعين عندما فاتحه بما يريد ؟

قلت له سأخطب (أمل) وهو كان يعرف مابيننا من حب كبقية افراد الاسرة ، فمنذ ان رأيتها قبل سنوات ، وهي قادمة مع اخيها لزيارتنا دون علم والدهم بذلك .. رأيتها وكأني اراها لاول مرة ... نسيت ملامحها الطفولية ، ونسيت بكاءها على لعبتها التي مزقتها بيدي عندما كنا نلعب سوية ... ونسيت حتى ماكانت تسمعني من شتائم والفاظ طفولية ... نسيت كل ذلك عندما رأيت امامي فتاة ناضجة جميلة ، مثقفة كلامها يقطر حياء ، ووجهها يصطبغ بلون شفتيها الحمراوين ، والكلمات تخرج من بين شفتيها كأنها زهور برية تنبثق من بين طيات الارض الواسعة ... احببتها او

انني احسست وقتها ان خيطا مايشدني لها ، قوة ما تجذبني اليها ... شيئا ما يدفعني الى الذوبان في ملكوتها المحيط بها ... وكان الهاتف طريقنا لاعلان ذلك الحب ... وعندما تشقق ذلك الستار الذي كان يفصل بين قلبينا ... قلت لهابخجل :- احبك

- لم تجبني ياتقيب سعدون عن موقف والدك المتشدد كانت كلماته هي المخرج لي من دوامة الحيرة والقلق والالم .. من ذلك الابتئاس الذي يلف روحي وكياني وانا اجلس امامه ... واصابع يدي تتشابك فيما بينها فوجدت صعوبة في فك ذلك الاشتباك .

- سيدي صحيح ان موقف والدي صعب جدا ، ولكن المهم هو موقف والدها ... اما والدي فانا كليل به .

لم يقل شيئا ، ظل ساكتا واصابع يديه تلعب بالسكين الصغيرة ... وخيم من جديد الصمت بيننا ، ثقيلا فاحسست بصغير خافت في اذني مايرح ان تعالى ، فاصبح كدوي المطارق .. فهو كثيرا ماكان يقول لنا في محاظراته ان الحديث في جهاز (الآرتي) عند الطيران على ارض العدو هو ثرثرة لافائدة منها ... وهو دليل تقدمه للعدو لاستمكاننا عند دخول - تشكيلاتنا في اجوائهم .

كانت اللوحة التي امامي وهي معلقة على حائط الغرفة قد توزعت بينها صور رفاقي الطيارين ... وكانت صورتي من بين الصور قد خرجت بعيدا عن سطح اللوحة ... تحركت ، وجدت طريقها عبر النافذة ... ابتعدت اكثر فاكثر حتى غابت عن مدى بصري عندما سمعتها تقول :-

- هااين وصلت بخيالك ؟

كانت هي تجلس امامي بثوبها الازرق الشفاف ، وحقيبة يدها قد وضعتها امامها على الطاولة الخشبية التي تفصلها عني .. نظرت الى من حولي ، كانت

الكازينو التي تعودنا ارتيادها خالية من روادها ، والوقت ظهرا ...

- انا مازلت معك ياأمل .

- ولكنك لم تنتبه لما قلته لك .

- لانني كما قلت مازلت معك ، الا تثقين ؟

انتبهت الى ان ملامح وجهها قد انكمشت ، وزال ذلك الصفاء الجميل ، عندها قالت بصوت حزين :-

- اترى انك تكثر هذه الايام من استعمال هذه الكلمة .. الا تثقين ..... الاتثقين ... انشك في ثقتي بك ام انك تشك في حبي لك ؟

وجدت في كلماتها سكيناً حادة اخذت تقطع لحمي ... تنغرس في قلبي ولكن ماالحل ، سألتها ، لقد اسأت فهم كلماتي ، (أمل) انا قلق جدا .

مددت يدي الى يديها ، اطبقت راحتي كفّي على كفيها ... سحبتهما الىّ ، وعندما اردت تقبيلهما جفلت ، وشحب لون وجهها ، سحبت يديها من بين يدي ، كان رد فعلها هذا قد حرك في قلبي الدم فاندفع بقوة الى رأسي احسست به يدق جدرانه بقوة ، عندها نهضت .

- هيا بنا .

لمحت اصفرار وجهها ، وتعكر ملامحه .

- هل زعلت ؟ سألتني باستغراب .

- كلا ... ولكنني لااستطيع ان اجلس امامك وانا في احباط نفسي قاتل .

عندها رأيت الدم يسري تحت صفحة خدها ، وباطمئنان قالت :-

- لماذا هذا الاحباط ، انك لحد الان لم تخسر شيئا ... الايام مازالت امامنا .

- قومي .. قلتها بامتعاظ .

مددت يدي الى يدها وسحبتها الي :-

- سنتحدث اثناء المشي .

حملت حقيبتها الصغيرة ، وسارت امامي ... كانت في مشيتها طاووساً جمد الدم في عروقي ... واحال مافي نفسي من قلق وحيرة الى لهيب مستعر يحرق كل من يقف في طريق سعادتنا ... (أمل) الرانا سنصل الى مانريد ؟

- لاتبتئس ..

قالها ، فازاحت عن نفسه ماكان يحيطها من قلق وحيرة والم ، عندها انتبه الى آمره ... الذي خاطبه قائلا :-

- سوف نجد حلاً لارضاء عمك ووالدك ايضا ... سنعيد ماكان بينهما من حب وصفاء ... هيا دع القلق والحيرة هنا واخرج الى الحياة ، فانت طيار ممتاز ، وشاب لاينقصك شيء ...

احس بدفء كلمات آمره ... شيء ماخذ طريقه الى اعضاء جسمه التي قد جمدها صقيع الحيرة والقلق .

- تقيب سعدون سوف اطلب من السيد آمر القاعدة ان يساعدنا في ذلك ، وسوف ننجح ان شاء الله .

كان باب القلب قد انفتح على وسعه ... فدخل الفرح اليه ... فاحس بالدم يصعد الى صفحة وجهه ، وابتسامة صغيرة اعتلت شفتيه اليابستين :-

- سيدي انا اشكرك جدا ..

× × × × × × × × × × × × ×

× × × × × × × × × × ×

× × × × × × × ×

رجال مجهولون

الواجب ، الحياة ، الانتظار

١

كانت الطيور مازالت في اعشاشها ، وهي تقالب هزه الريح بها ... حيث سدت سياطها الى تلك الاعشاش الصغيرة المبنية من القش والعيدان ... فأخذت تقلق صمتها وهدوءها ، وكأنها تريد ان تقتلعها من تلك الاغصان الكبيرة لشجيرات الصفصاف والاثل التي توزعت بين فناء رمادي احاط ملاجيء الطائرات الكونكريتية الضخمة ذات الابواب الحديدية الكبيرة الموصدة ... فبدت لمن يراها وكأنها اجسام عملاقة انغرست في اديم الارض .

كانت الشمس مازالت في مخدعها ، والقمر بضوئه الفضي ، يجاهد غيمات رمادية اللون تتحرك مسرعة حوله ، فتجتازه مارة على صفحة خده الوهاجة ، وكأنها تريد ان تمسح عنه ذلك الوهج الذي تشرب به فسبحت كل الأشياء المنبثقة من رحم الارض بلون فضي ... بينما راحت سياط الريح تهز اغصان الاشجار وتلفح وجه الارض بحركتها التي بدأت هادئة اول وهلة ، ومابرحت ان ازدادت ، فصات الفضاء بأصوات وحشية وصفير حاد لم يعرف مصدره .

توقفت الحملة العسكرية امام كرفان خشبي ابيض اللون ... هبط منها مجموعة من الضباط وهم يقاليون تعباً مازالت اطرافه ممسكة بجفون عيونهم التي اصطبغ بياضها بلون الدم ، وفاحت من بين طيات ملابسهم رائحة اجساد لم تذق طعم النوم في جو وخيم امتلأت به ملاجيء الطائرات الكونكريتية .

قال النقيب المهندس ماجد : لمن معه من الضباط المهندسين وهو يدفع بيده الباب الخشبي للكرفان :-

ـ لنرتح قليلاً .

× × × × × × × × × × × ×

× × × × × × × × × ×

× × × × × × × ×

كانت الساعة تشير الى منتصف الليل عندما رن جهاز الهاتف في غرفة النقيب المهندس ماجد ، عندها انتفض من فراشه كالمذعور وهو يقالب ماعلق بين جفنيه من تعاس حاد :-

ـ نعم .

لم يقل غير هذه الكلمة للملازم الاول ضياء ، ضابط الخفر لليلة أمس والذي طلب منه المجيء الى خط الطيران .

خلع بجامته ، وارتدى بدلته العسكرية الزرقاء ... بعدها مرّ على غرف رفاقه الضباط ، حيث اجفل في عيونهم احلام جميلة بطرقات اصابعه على ابواب غرفهم .

اما الآن ، فقد انتهى كل شيء ... لقد تم تسليح وتجهيز خمس عشرة طائرة بالقنابر ... وهاهي عقارب الساعة تقترب الى اعلان مولد فجر جديد ... نهار

عمل جديد ... حيث بدأت اشعة الشمس تصبغ بلونها الذهبي بعد ان [illegible] الفجر [illegible] ... [illegible] الفجيء الكونكريتية ، وهي تدب بأجسادها المتخمة البارده لتحيط بالطائرات القابعة في احشائها وهي محملة بالقنابر .. وهاهم الضباط المهندسون والطيارون قد أراحوا اجسادهم التعبة على تلك الارائك التي صفت داخل الكرفان الخشبي وهم يحاولون سرقة اغفاءة قصيرة من زمن الانتظار القلق .

رن جهاز الهاتف ذو اللون الرصاصي ، وامتلأ جو الكرفان الخشبي برنينه المستمر ..

كان رنينه ايذانا لتلك الاجساد المتعبة ان تطرد عنها كل ماحل بها من تعب ونعاس لاعب الجفون .. فجعل حدقات العيون تلوب في محاجرها وكأنها تبحث عن شيء قد اضاعته .

رفع النقيب المهندس ماجد سماعة الهاتف ، بينما نهض الجميع من مقاعدهم وكأنهم عرفوا سلفا ماسيأتيهم به هذا الجهاز من امر ، كثيراً ماامارسوا تنفيذه بكل همة ونشاط .

لم تكن المحادثة طويلة ... فسرعان ماأجاب محدثه في الطرف الثاني بنعم سيدي . ثم وضع السماعة في مكانها .

نظر الى زملائه الضباط الواقفين قرب باب الكرفان ... ودون ان يقول كلمة واحدة لهم ، اخرج علبة سيكائره من جيبه ، كانت العيون تحدق فيه كأنها تريد ان تستكشف مافي فمه من كلمات قبل ان ينطق بها هو بنفسه ... لكنه ظل بارداً ، اشعل له سيكارة وأخذ يسحب منها نفساً عميقاً .

قال النقيب المهندس أكثم ، وهو يمسك بقبضته باب الكرفان ، كأنه يتهيأ للهروب منه .

ـ ها ، هل حددوا وقت الاقلاع ؟

اجابه النقيب ماجد :ـ

ـ نعم .

وقبل ان يستطرد في كلامه ، ارتسمت على شفتيه ابتسامة صغيرة :ـ

ـ لماذا انتم واقفون كأنكم تستعجلون الخروج من هذا الكرفان الخشبي اللعين ... عودوا الى اماكنكم ... لم يحن الوقت بعد ... تفضلوا ايها السادة الابطال .

عاد الضباط الى اماكنهم ... بعد ان احسوا بخيبة لما كانوا يفكرون به .

عندها قال الملازم الاول نضال موجهاً كلامه الى النقيب المهندس اكثم الذي عاد هو الآخر الى مكانه مخذولاً :ـ

ـ اتعرف ياسيدي ... لقد ارعبتني ، وانت تنهض من مكانك ... كنت كمن لدغته الحية ...

اجابه النقيب المهندس اكثم بعد ان شدّ رباط حذائه الاسود :ـ

ـ كلا ، لكن رنين الهاتف كان اشبه بلدغة الحية ، خاصة هذا الهاتف ذا اللون الرصاصي .

ـ ربما كنت غافياً ؟ سأله النقيب ماجد بخبث .

ـ نعم ، لقد كنت مابين النائم والصاحي ... كان النعاس يلاعب اجفاني ... وكان شعرها الطويل شلالاً ينزل على وجهي بارداً ولذيذاً .

صاح الملازم الاول ضياء منتشياً :ـ

ـ الله ... الله ...

ثم اقترب منه ، وبتوسل سأله :ـ

ـ اي سيدي ، وبعد ؟ اكمل، ارجوك سيدي وبعد ... ضحك الجميع فيما

عاد النقيب الى مكانه وجلس .

ـ ها ضياء ، هنا مكمن الداء . اليس كذلك ؟

ـ كلا سيدي ، ولكن في مثل هذه الاوقات ، يكون مثل هذا الحديث هو سلوتنا ...

قاطعه النقيب اكثم ضاحكاً :ـ

ـ ملازم اول ضياء ، لاسلوى ، ولاهم يحزنون ،كل مافي الأمر انني جفلت على صوت رنين الهاتف ، وانت تعرف ان الهجوم الغادر مازال على اشده والوقت يمر سريعاً .

عند ذلك قال الملازم الاول خالد موجهاً حديثه للنقيب اكثم :ـ

ـ كل شيء جاهز ... ولاداعي للقلق ياسيدي العزيز ... ها ، وبعد ذلك ماذا قالت لك ؟

سأله النقيب اكثم باندهاش :ـ

ـ من ؟

أجابه الملازم الاول خالد :ـ

ـ ذات الشعر الاسود .

ضحك الجميع ... فيما قال النقيب المهندس ماجد موجهاً كلامه الى النقيب اكثم :ـ

ـ أترى ... لقد ابعدت الكسل والخمول عنهم ...

فاجابه النقيب اكثم مبتسماً :ـ

ـ انا اعرف كيف اتعامل معهم ... وكيف اعزف على الوتر الحساس عند كل ضابط منهم .

فسأله الملازم الاول ضياء :ـ

ـ والفتاة ذات الشعر الاسود . هل هي حقيقة ام حلم ؟

اجابه :ـ

ـ كلا . ليست حقيقة ولاحلم . كل مافي الأمر اردت ان نتحدث قليلاً بعد ان وجدتكم مضطربين وقلقين ...

فقال النقيب ماجد :ـ

ـ ليست هي المرة الاولى التي تقوم بها بتحميل هذا العدد الكبير من الطائرات وتجلس منتظرين الأمر ... لقد اصبح ذلك عادة عرفنا جميع اسرارها وخباياها .

ـ هذا صحيح ياسيدي .

اجابه الملازم الاول نضال ... وهو يتذكر تلك الايام التي كانت بالنسبة له تجارب تعلم منها كل ماله علاقة بمهنته كضابط تسليح ثم تابع قوله :ـ

ـ اتذكر ياسيدي اول مرة طلب منا تحميل عشر طائرات ... عندما لم يكن لنا في السرب الا بضعة ايام ... كان الوقت ساعتها ليس في صالحنا ... كنا قلقين وخائفين .. عندها سألتني ماذا لو لم ننته من عملنا في الوقت المحدد . فطمأنتك انا ... قلت لك : يجب ان ننتهي ... اتذكر . وانتهينا قبل الموعد المحدد بنصف ساعة . اتذكر ذلك ياسيدي ؟

وامتد الحديث بينهم .. ودارت الذكريات على الالسن والشفاه بينما . كانت الضحكات ترن بين فترة واخرى بين جدران الكرفان الخشبي الذي كثيرا ماشهد جدالهم . عراكهم النزق ... وبعض مقالبهم الجميلة التي تدفعهم الى ممارسة الضحك في وقت تكون فيه اجسادهم قد انهكها التعب .. ولكنه تعب لذيذ .

ـ نعم ان مانحس به من تعب حري بان يبعث في نفوسنا اللذة والنشوة ...

ويجعلنا ننسى تعبنا ... وسهر الليالي ...

ـ عندما احس بالتعب «ردد النقيب ماجد» احس في الوقت نفسه بلذة غامرة تجتاح نفسي ... انه تعب مثمر .

كان كل شيء قد تهيأ ... الطائرات ... المعدات الارضية ... العجلات الاختصاصية ... لكن الذي ينغص نفوسهم هو ذلك الانتظار القاتل ... الانتظار الذي كثيرا مامارسوه عنوة وهم ينتظرون الاوامر باخراج الطائرات من ملاجئها . وتهيأتها للطيران .

قال الملازم الاول خالد وهو يفرك براحتي يديه عينيه اللاتي اثقل مرة اخرى النعاس جفونهما :ـ

ـ هل اصنع لكم شاياً ؟

وقبل ان يسمع منهم جواباً . نهض واخذ علبة الكبريت التي كانت على الطاولة الصغيرة وتوجه الى مكان اعداد الشاي .

× × × × × × × × × × × ×

دارت استكانات الشاي بين الضباط وامتدت الايدي الى صينية صغيرة امتلأت بالكليجة ... حيث امتلأت بها افواههم التي راحت تمتص مافيها من حلاوة بلذة وانتشاء . قال الملازم الاول ضياء متباهيا :ـ

ـ عاشت يد ام ضياء على هذه (الكليجة) اللذيذة . فدوت في جو الكرفان ضحكة اطلقها فم النقيب المهندس ماجد ثم اردف قائلا :ـ

ـ القرد بعين امه غزال .

فرد عليه الملازم الاول ضياء قائلا :ـ

ـ هذا صحيح ياسيدي العزيز ... لان (الكليجة) التي جلبتها لنا كانت الذ واطيب ... اليس كذلك ؟

كان في كلام الملازم الاول ضياء بعض من الذم لزميله النقيب المهندس ماجد ، الذي كثيراً ماكان يعدهم بجلب (الكليجه) او اية اكلة اخرى ، لكنه كان يعود بعد الالتحاق من اجازته الدورية خالي اليدين ... لاكليجة ، لاكعك لاحلويات ، ولاشيء مما كان يعدهم به .

ويفم مليء بالكليجة ، وابتسامة على شفتين تناثر حولها فتات ناعم من الكليجة قال النقيب المهندس ماجد وكأنه يداري خجل بدا على ملامح وجهه :-

- ان شاء الله في الاجازة القادمة ... هذا وعد مني ، سوف تاكلون الذ كليجة في الشرق الاوسط .

تساءل النقيب المهندس أكثم وهو يوجه سؤاله الى الملازم الاول خالد :-

- هل تصدق ذلك ؟

فرد عليه الملازم الاول خالد وكأنه يدافع عن زميله النقيب ماجد :-

- ولماذا لاأصدق ... انني احس بصدق وعده هذه المرة ... وسأراهن على ذلك .

ثم وجه كلامه الى النقيب المهندس ماجد :-

- اليس كذلك ياسيدي ... ارجو ان لاتخيب ظني فيك ، ولو لمرة واحدة فقط .

فرد عليه النقيب المهندس ماجد وكأنه يدافع عن نفسه امام هذا الهجوم الكاسح الذي قوبل به :-

- اوداعتك ابو الوليد ، ستاكل اصابعك من ورائها .

ضحك الملازم الاول نضال الذي لم يشترك في الحديث لحد الان وقال :-

- راحت الفلوسك ياخالد ... ستخسر الرهان حتماً ، اترى كيف اجابك ؟

فتساءل النقيب المهندس ماجد وهو يأمل انتهاء هذا النقاش الذي وضعه في محل ادانة :-

- ولماذا هذا النقاش ، ستأتي الاجازة ... وقبل ان يكمل حديثه ، رن - جهاز الهاتف ذو اللون الرصاصي ... فملأ رنينه جو الكرفان ... وانقطع النقاش ... وخيم الصمت بين الضباط ... حيث انقطع ذلك الجدل الذي انساهم مافي اجسادهم من تعب ومافي عيونهم من سهر ... فاتجهت الانظار الى الجهاز الذي رفع سماعته النقيب المهندس ماجد ... وبعد لحظات اعادها الى مكانها وقال لهم وهو يحثهم الى العمل بعد ان رأى فرصته الذهبية فيه :-

- اتركوا حديث الكليجة ، وهيا الى الطائرات ..

× × × × × × × × × × ×

× × × × × × × × ×

× × × × × × ×

٣

لم تمض اقل من ربع ساعة ، حتى كانت جميع الطائرات المحملة بأنواع الفنابر ، والتي تم تجهيزها وتحميلها ليلة امس ، قد توزعت امام الثلاجي، الكونكريتية الكبيرة ... تلك الثلاجي، التي انفتحت ابوابها بصرير حاد ، وكأنها تودي عليها بطلسمها الخاص ... فبدأت تلتقاها بالانفتاح ... حتى اتسعت المسافة التي تفصل بينهما ... عند ذاك بدأت حركة المراتب الفنيين غير طبيعية لمن يراها اول مرة ، لكنها كانت منتظمة ومدروسة لاتشوبها شائبة .

كان كل شيء محسوباً بدقة ... وكان كل فني يعرف عمله الموكل به ، والذي حفظ تفاصيله من خلال الممارسة اليومية والمحاضرات الدورية ... فبدأت ساحبات (عنتر) تسحب الطائرات من داخل ملاجئها وتركنها في الفسحة المواجهة لباب الثلجا ... ليبدأ عمل الاخرين عليها ، في فحص وتجهيز اجهزتها قبل الطيران .

كان العمل يسير بصورة منتظمة ودقيقة للسيطرة على الوقت ، لان

ـ عندما تخطط القيادة لواجب ما خاصة اذا كان الواجب في العمق الايراني
ـ عند ذاك يبرز الدور الكبير الذي لايمكن باي حال من الاحوال ان نتجاهله للزمن .. لهذا فعلينا نحن الاداة المنفذة والمجهزة للطائرات ان نكون عند حسن ظن القيادة وان نتحمل المسؤولية كاملة ... ولهذا فان عدونا الاول والاخير هنا داخل السرب ونحن نعمل في تجهيز الطائرات هو الزمن ، فأرجو ان تنتبهوا اليه جيدا ... وليكن شعارنا دوما ، اقتل الزمن في العمل قبل ان يقتلك

عند انتهاء كلمته تلك ، ارسل ضحكة عالية تجاوبت معها ضحكات المراتب الفنيين ... وهم يرون الضابط المهندس الاقدم قد ضحك دون ان يعرفوا السبب .

كانت ربما المرة الاولى التي يراه المراتب الفنيون وهو يضحك امامهم حيث كانوا يقرأون في وجهه ـ دوماً ـ صورة التجهم وملامح الجد الزائد عن حاجته ، كما عبر عن ذلك مرة المقدم الطيار طارق السعدوني آمر السرب صراعهم هو صراع مع الزمن ... هكذا حدده النقيب المهندس ماجد وهو يتحدث مع المراتب الفنيين :ـ

ـ انتم تصارعون وحشاً كبيراً ... فاما ان نقضي عليه ، او انه يقضي علينا ... وهنا الطامة الكبرى ، ليس علينا نحن بل على الجميع ... على العراق كله نحن نصارع الزمن ، فعلينا اذن ان نصرعه قبل ان يصرعنا ... علينا ان نستل منه كل دقائقه وثوانيه قبل ان يستل منا مافينا من قدرة وثقة بالنفس وشجاعة ايضا .

سكت قليلاً ليرى مدى تأثير قوله .. ونظر الى الوجوه التي لوحتها الشمس ... واخذ منها النعاس بعض مافيها من نظارة وحيوية ... كان الكل

رغم تعبه مصغياً بانتباه الى مايقول الضابط المهندس الاقدم لسربهم ... عندما تابع قوله :ـ

امامه عندما حاول ان يدفعه الى التعامل الحيوي مع المراتب الفنيين .

قال له :ـ

ـ التعامل الحيوي مطلوب عندما تكون قائدا لمجموعة من الفنيين خاصة الذين يتعاملون مع الطائرات .

فسأله باستغراب :ـ

ـ ماذا تعني بالتعامل الحيوي ياسيدي ؟

كان المقدم الطيار طارق السعدوني جالساً على مكتبه في غرفته ، وهو يحرك ـ كعادته ـ سكيناً خاصة بفتح اغلفة الرسائل ، حيث كان يجد في ذلك بعض اللذة والراحة او الاستئناس عند استرساله في الحديث مع الآخرين رد عليه قائلا :ـ

ـ نقيب ماجد ، اقصد بالتعامل الحيوي ، هو ان تأخذ وتعطي ... ان تكون جدياً في وقت الجد ، وان تتعامل مع الاخرين بروح اخوية اذا تطلب الامر ذلك ... لااريدك ان تكون صارماً في كل الاوقات ، فهذا يدفع الاخرين وهم الذين يعملون لتنفيذ اوامرك ، ان ينفذوا تلك الاوامر بروح ساخطة ودون رضى ... وبـلا حب ايضـاً ... اي انهم ينفـذوا تلك الاوامـر لا لأنهـم يحترمونها ... بل لان الخوف هو الذي يدفعهم في ذلك ... وبين الاحترام ـ والخوف مسافة واسعة من العلاقات الانسانية المثمرة .

ثم وضع السكين على المكتب ، وحدق في وجـه النقيب المهندس مـاجد ... وعندما وجده مصغياً له ، تابع قوله مؤكدا :ـ

ـ هذا ماأعنيه بالتعامل الحيوي يانقيب ماجد .

عندها ارتسمت على شفتي النقيب المهندس ماجد ابتسامة صغيرة اراد من خلالها ان يداري ماأصابه من خجل بدا على ملامح وجهه الذي صعد اليه الدم فبدا أحمرَ معرق ، وهو يستمع الى نصائح آمره ، ثم رد قائلاً :-

-سيدي ، ربما لم اجد -ونحن في خضم هذه الواجبات - الظرف المناسب الذي يجعلني اتعامل معهم بما سميته بالتعامل الحيوي .

فقال المقدم الطيار طارق السعد ضوني بسرعة وكأنه كان ينتظر منه مثل هذا الاعتذار :-

- ولكنك تستطيع ان تخلق مثل هذا الجو ... اقترب كثيرا من المراتب الفنيين في سربك ... تعرف على مشاكلهم ... حل ماتستطيع حله من مشاكل مراتبك ان امكن ... تعامل معهم بحب وإلفة ..

عند ذاك ، نهض من كرسيه الدوار ذي الغطاء الجلدي الناعم ... وقبل ان يتحرك خارجا من المجال الذي يفصل بين الكرسي والمكتب ، خاطب المهندس الاقدم لسربه مؤكدا :-

- نقيب ماجد ، يجب ان تتعامل مع من تعمل معه من المراتب تعاملاً طيباً لانهم ذراعك الذي تنجز بها مايطلب منك من اعمال ... اجتمع معهم ، حاورهم ، ناقشهم ... اسألهم عن احوالهم ..

وعندما تجد نفسك في موقف يتطلب منك الحزم والقوة فانني ادعوك ، بل ادفعك الى ان تكون جدياً وحازماً ...

هذا مااريد ان اؤكد عليه ... وعندما تكون هناك فسحة من الوقت تجد فيها من المناسب ان تكون مازحاً مع معينك فلا داعي للتصلب ، لان التصلب يعني ان تكون يابساً ، ومن يكون يابساً يعرض نفسه للكسر ... اليس كذلك ؟

- نعم سيدي ...

رددها ، ونهض من مكانه ، حيث عرف ان آمره قد انهى حديثه معه وضع بيريته على رأسه ... عدل من وضعها جيدا ، وقبل ان يترك الغرفة خاطبه قائلا :-

- سيدي ، شكرا لنصائحك ، وآمل ان اجد الوقت المناسب لاثبات ذلك .

أدى التحية العسكرية ، وخرج .

× × × × × × × × × × × ×

٣

كان رنين الهاتف قد مسح من عينيه اغفاءة كادت تسيطر عليه حيث احس بارتخاء في اعضاء جسمه ، وثقل في جفون عينيه ، فكان الرنين يدأ قوية هزته من الاعماق فجفل وهو يفرك عينيه .

كانت الساعة تشير الى السابعة صباحاً ، عندما بدأ الفنيون تشغيل أجهزة الطائرات لتهيأتها للطيران بعد ربع ساعة بالضبط ، حيث يقوم الطيارون بتشغيل محركاتها ، والتحليق بها للوصول الى الهدف المرسوم لهم في عمق الاراضي الايرانية .

عندما يرن الهاتف ذو اللون الرصاصي في كرفان الضباط المهندسين معنى ذلك ان تكون مستعداً للاجابة الفورية على كل الاسئلة التي تطرح من قبل غرفة الحركات التي هي الان ـ هكذا كان يشغل باله النقيب المهندس ماجد ـ كخلية نحل ... ثم قال مع نفسه مؤكدا: حتماً ان أمر القاعدة وآمر جناح الطيران وضابط ركن الحركات يعملون بجهد مضاعف ، وهم يعدون الخرائط ليحددوا للطيارين مسالك الدخول والخروج الى منطقة الهدف ...

ونحن هنا نهيء لهم ادواتهم التي يحاربون بها الاعداء ... وينزلون بهم القصاص العراقي العادل ... اليس كذلك ؟

سأل نفسه وكانه يوجه سؤاله الى شخص يشاركه الحديث ... رغم ان الكرفان قد خلا من سواه .

لم يكن في الكرفان احد من الضباط غيره ... فقد انتشر الجميع بين الملاجيء حيث الطائرات التي بدأت اجهزتها بالعمل فكل ضابط يعرف ماسيقوم به من واجب ...

كانت عقارب الساعة تشير الى السابعة والربع عندما خرج من الكرفان واتجه صوب السيطرة ... بانتظار قدوم الطيارين ... حيث سيقوم هو بتوجيههم نحو الطائرة المخصصة لهم ، ونوع حمولتها .

من بعيد لاحت له العجلة العسكرية وهي تتجه نحو السيطرة كان هو ، والنائب الضابط محمد ، مسؤول السيطرة ، والذي كان مسؤولاً عن تنظيم سجل الطيران ... وتوثيق الطلعات الجوية وتسجيل المعلومات الخاصة بوقت الاقلاع والهبوط في ذلك السجل .

كانوا سبعة من شباب السرب ... صقورا جعلت من السماء مملكة لها ... وبعد ان هبطوا من العجلة العسكرية ، بدأو بتنظيم بدلات الضغط النصفية (الجي - سي) على اجسامهم ، ارتدوا قفازاتهم الجلدية ذات اللون الاخضر ... كان كل واحد منهم يحمل خوذته البيضاء تحت ابطه ... وهم ينتظرون آمرهم الذي تأخر في غرفة الحركات .

كانت جميع الطائرات مهيأة للاقلاع ، عندما اخبرهم النقيب ماجد قائلا :-

- سننتظر عودتكم ، وستكون بانتظاركم ثمانية طائرات اخرى محملة

بالقنابر وجاهزة للطيران والقصف .

اجابه الرائد الطيار فاضل المهدي :-

- سنعود ان شاء الله ، وسنجعل هذا اليوم من سمائهم وارضهم سقراً ولهباً .

كان الرائد الطيار فاضل المهدي ، قائداً لتشكيل يتكون منه ومن ثلاثة من الطيارين الشباب .. اما التشكيل الثاني فسيقوده المقدم الطيار طارق السعدوني بنفسه والذي وصل الآن بسيارته العسكرية الصالون .

عندما ترجل من العجلة ، ادوا التحية العسكرية له ... عندها شرع هو الآخر بتنظيم بدلته (الجي - سي) على جسده الذي استطاع ان يسيطر على نموه العرضي من خلال التمارين الرياضية التي اخذ يزاولها صباحاً ومساءً ... واتباع نظام حمية قاس تحت اشراف احد اطباء مستشفى القاعدة .

عندما نظر الى وجوه طياري سربه ، ابتسم لهم ، وعندما التقت نظراته بوجه الملازم الاول الطيار خماس خاطبه قائلا :-

- ملازم اول خماس ، هل تعتقد بانني ساكون مثلك ؟

فسأله الملازم الاول خماس باستغراب :-

- عمَّ تتحدث سيدي ؟

فقال له وهو يضع الخوذة البيضاء على رأسه :-

- أقصد بحجم جسمك ...

عند ذلك توزعت الابتسامة التي رسمها المقدم الطيار طارق بين شفتيه بين طياري سربه .

كان الملازم الاول الطيار خماس نحيفاً كقصبة عراقية في اهوار العراق .. فكان محل حسد بين رفاقه الطيارين .

تحسس المقدم الطيار طارق بأصابع يده بطنه ، بعد ان ضبط بدقة اقفال بدلته (الجي - سي) عليها .

لم يكن جسمه قد عرف السمنة إلا قبل سنة ونصف تقريباً ، هذا ماصرح به الى الطبيب ...

قال له :-

- لاأعرف كيف داهمتني هذه السمنة اللعينة دون ان اشعر بها ..

واطلق ضحكة قـرأ من خلالها الطبيب مدى الالم الذي يعانيه هذا الصقر الذي زين صدره بخمسة انواط شجاعة ، وحظي بصـداقة السيد الرئيس القائد حفظه الله .

قال له الطبيب :-

- لاتيأس ... سنعالجها ، السمنة ليست مرضاً خبيثاً ياسيدي ... سنقضي عليها بشرط ان تقوم انت باتباع التعليمات التي سنخبرك بها ... حتماً سننتصر .. عندها سنزين نحن الاطباء صدرك بنوط الصحة ان شاء الله .

ضحك الطبيب ، وضحك هو كذلك ، ولكن ضحكته كانت قد تفسست بالالم من هذه السمنة اللعينة التي اقلقته كثيراً واخافته من يوم يكون فيه جسمه غير صالح للطيران .

بعد اكثر من شهر ، وجد ان وزنه قد قل خمسة كيلو غرامات .. كانت مفاجأة له ... وهاهو يقوم بتنظيم قياسات بدلة (الجي - سي) على محيط بطنه بين الحين والآخر ، حيث يجد في ذلك لذة ... فيغمره شعور بالفرح ...

عندما انتهى من تنظيم بدلته وأحكم اقفالها ، تقدم نحو طياري سربه الذين مازالو ينتظرونه ليضع توقيعه في سجل الطيران هو الاول ... حيث سيتقاطرون من بعده لتسجيل اسمائهم ، ووضع تواقيعهم ، وهم متلهفون

الى الطائرات .

- ها ... الا زلت مصراً على ان تذهب الى بيت عمك ... قال المقدم الطيار طارق موجهاً سؤاله الى النقيب الطيار سعدون ، الذي فوجيء بهذا السؤال الذي لم يكن مهيئاً له في هذه اللحظة فأجابه :-

- سيدي لقد فاجأتني ..

نظر المقدم الطيار طارق الى ساعته ، ثم توجه الى العجلة العسكرية قائلا الى النقيب الطيار سعدون :-

- نعم وهذا مااريده .

سأله :-

- كيف ياسيدي ؟

وقبل ان يغلق باب العجلة وهو في داخلها ، اجابه بعد ان غمز بعينيه الطيارين الذين مازالوا متحلقين حول العجلة ليستمعوا الى حديثهم ... قال :-

- عندما نعود ان شاء الله سالمين ، ستعرف السبب ..

اغلق باب العجلة ، وأمر السائق بالتحرك الى حيث الطائرات .

عندها ركب الطيارون العجلة العسكرية الاخرى ، وتوجهت بهم الى الطائرات .

لم يبق سوى النقيب المهندس ماجد والنائب الضابط محمد وسجل الطيران الذي ارتكن على جانب من منضدة خشبية كبيرة ، حيث احتوى على اسماء وتواقيع ثمانية طيارين ... عندها مد بصره الى الملاجيء الكونكريتية الموزعة بين الفضاء المفتوح امامه ... ثم اخذ بصره يتابع العجلة العسكرية التي كانت تقف امام كل ملجأ ، فينزل منها طيارين ، يتوجهان مباشرة الى

الطائرات الرابضة عند ابواب الملاجيء ... ردد مع نفسه ، حرسهم الله ... واعادهم سالمين .

كان كل طيار يهبط من العجلة العسكرية ، يتوجه نحوالطائرة يدور حولها ليتفحصها ... ثم يوقع في سجلها الخاص ويصعد الى مقصورتها حيث يمد ساقه الايمن الى داخلها ويتمتم متوكلاً باسم الله ... يعتلي كرسيها ... ويحكم شد احزمته بمعاونة احد المراتب الفنيين ... بعد ذلك يغلق غطاء المقصورة الزجاجي ... ثم يستلم امر بدء التشغيل من السيطرة الجوية ... يضغط على الزر الخاص بتشغيل المحرك ... فيتعالى صوته هادراً تاركا خلفه قليلا من الدخان الاسود .

× × × × × × × × × × × × ×

ياسين عبدالرحمن ...

مذكرات غير مكتوبة

ـ كش ملك .

قالها النقيب سعدون العاكف بزهو في وجه الملازم الاول الطيار علي البصري .. عندها وبضربة قوية من كف الملازم الاول علي على راس ملكه الاسود ، ازاحه من رقعة الشطرنج بعصبية بدت ترتسم على ملامح وجهه الاسمر الحليق .

نهض واقفا يلعن حظه العاثر في هذه اللعبة اللعينة التي لم تجلب له سوى التعاسة والحزن ـ كما اكد له الملازم الاول الطيار حسين في محاولة له لاقناعه بالعدول عن لعبها امام النقيب سعدون :ـ

ـ ها ، كالعادة .

سأله النقيب الطيار ياسين وهو يزرع على شفتيه ابتسامة قرأ فيها الملازم الاول علي سخرية مرة فيما كان احساس النقيب ياسين في ذلك الوقت هو الخوف على هذا الضابط الشاب من حالة الحزن والتعاسة التي تنتابه بعد كل مرة يخسر فيها امام النقيب سعدون العاكف .

اجابه متحديا :ـ

ـ سيدي ، هل نلعب ؟

لم يجبه بشيء ... بل نظر اليه بعينين لم يقرأ فيها اي معنى وبالابتسامة ذاتها ، وجه النقيب ياسين كلامه الى النقيب سعدون الذي لم تبد اية ملامح للفرح او الانتشاء بالفوز على وجهه ، قال له :ـ

ـ لماذا لاتحن عليه ولو لمرة واحدة ، سوف تقتله ؟

اجابه :ـ

ـ سافعل في المرة القادمة .

رد عليه الملازم الاول علي بتحد وهو يجمع الات الشطرنج :ـ

ـ كلا ، لااريد ذلك ... ولكن سيأتي اليوم الذي اغلبك فيه عندها قال الرائد الطيار عباس السلمان وهو يرفع رأسه من صفحات احدى المجلات العسكرية الخاصة بعالم الطيران :ـ

ـ سوف احتفل في اليوم الذي اراك فيه لاتجمع الات الشطرنج بعد اللعب .

تعالت الضحكات في جو البهو ، فيما كان النقيب الطيار ياسين يعالج في نفسه مشاعر الحزن والاستهزاء من هذا الضابط الشاب الذي لاتفيد معه هذه الخسائر المتتالية ، قال بتفكه :ـ

ـ اعتقد بانك سوف لن ترى ذلك اليوم ، وان تحتفل فيه .

عند ذلك ادار الملازم الاول الطيار علي البصري نظره بين الجالسين الذين تقاسمت شفاههم قهقهة الضحكات العالية ، وقبل ان يترك البهو قال :ـ

ـ سيدي نقيب ياسين ، سيأتي اليوم الذي ساغلبه .

ـ نعم ، ولكنه يوم بعيد .

رد عليه النقيب ياسين .

ضحك الجميع ، بينما غادر الملازم الاول علي البصري البهو وهو يحس

بغصة تجتاحه كعادته بعد كل دور يغلبه فيه نقيب سعدون العاكف .

منذ اكثر من سنتين ، وفي اللحظة التي وطأت فيها اقدام الملازم الاول علي البصري بهو السرب لاول مرة ، وهو يخرج خاسراً في كل جولة امام النقيب سعدون العاكف .

كان الند له ، وكانت خساراته المتتالية تترك اثرها الكبير في نفسه وتجعله في كثير من الاحيان عصبي المزاج ، مما دعا النقيب الطيار ياسين عبد الرحمن لكونه ضابطا للتوجيه السياسي ، الى ان يطلب من النقيب سعدون ان يترك المجال له كي يغلبه ولو لمرة واحدة خوفا على حالته النفسية التي ستؤثر حتما على طيرانه ... فكان يوعده بذلك دائما ، لكنه لايفي بوعده وهكذا اضطر النقيب ياسين الى محادثته امام الجميع ... تساءل مع نفسه هل يفعل ذلك ؟ سأقنعه ، واذا تطلب الأمر سأخبر آمر السرب بذلك ... يجب ان ابعد اية مؤثرات خارجية على نفسية اي ضابط طيار .. كان النقيب ياسين عبد الرحمن ، يراقب عن كثب احوال زملائه الطيارين بصفته ضابطا للتوجيه السياسي ... وها هو يقرر مع نفسه ان يتدخل بين النقيب سعدون والملازم الاول علي ... وهكذا وضع امامه حلين لاثالث لهما ، فاما ان يكف الملازم الاول علي من اللعب امام النقيب سعدون ، او ان يتساهل قليلا النقيب سعدون مع الملازم الاول علي ، ويترك الغلبة له ولو لمرة واحدة وليكف بعد ذلك ... سيتدخل حتما ، هكذا قرر مع نفسه .

كان تفكيره هذه اللحظة منصبا في حل هذه المعضلة ، وليكن ـ تساءل ـ ماالذي يجعل الملازم الاول علي مصرا على منازلة النقيب سعدون وهو يعرف مدى ذكائه في هذه اللعبة ؟

هل هو العناد ؟ ام انه كالفراشة التي تساق الى حتفها بنفسها امام الضوء ام ان هناك سببا آخر يدعوه الى ذلك ؟

لم يجد جوابا لاسالته ، ولم يشا ان يسال الملازم الاول علي عن ذلك ، ولكنه قرر مع نفسه ان يتدخل لانهاء هذه المشكلة التي ستؤثر حتما على نفسية الملازم الاول علي .

ـ نعم ، حدث نفسه ، وهو ينظر الى النقيب الطيار سعدون الذي وجده جالسا ـ رغم فوزه ـ حزينا ، ويعرف كذلك سبب حزنه .

قال لنفسه ، نعم ، ان الحالة النفسية للطيارين ورفع معنوياتهم هي من صلب واجبي ... ولكن كيف ؟ كيف ياياسين وانت ايضا تحتاج الى من يحل مشكلتك مع والد من تحب ؟ لماذا هو يرفض تزويجها مني ؟

كانت عيناه مزروعتين في وجه النقيب سعدون الذي اخذ ينفث الدخان من سيكارته التي اشعلها للتو ... ماالذي تفكر فيه ياسعدون ؟

تساءل النقيب ياسين بصوت خافت لم يسمعه احد غيره ، لقد اصبحنا في (الهوى سوى) ... عمك يرفض تزويجك من ابنته لسبب ربما معقول بالنسبة له ، اما والد من احب فهو يرفض ذلك لانني طيار ... نعم وهو يخاف على ابنته من ان تفقدني ... يخاف عليها من موتي ... هل تصدق ذلك ياسعدون ؟

عند ذلك انسابت ضحكة صغيرة من بين شفتيه ، مابرحت ان اتسع لها فمه وارتفع صوتها بقهقة عالية دوت في ارجاء البهو بين اسماع الاخرين الذين اداروا رؤوسهم الى حيث يجلس ... هز رأسه وكأنه يريد ان يطرد عنه تلك التخيلات التي امتلأ بها .

ـ ماالذي يضحكك ياسيدي ؟

سأله الملازم الاول خالد الموفق الذي كان جالسا بالقرب منه .

ـ متى وصلت ؟ سأله هو الآخر .

اجابه ـ

ـ قبل قليل

ـ وكيف هي حاله ؟

ـ جيدة ... ستنفذ منهاج الطيران التدريبي هذا اليوم .

اجابه الملازم الاول خالد ثم تابع سؤاله ـ

ـ ألم تقل لي ياسيدي ماالذي كان يضحكك ؟

ـ لاشيء ... لاشيء .

اجابه بانتضاب ، وترك مكانه ونهض ، وقبل ان يترك البهو ، القى نظرة على منهج الطيران اليومي المدون على اللوحة الشفافة المعلقة على الحائط ، وعندما تاكد من ان الوقت مازال مبكرا لطيرانه التدريبي خاطب الرائد الطيار فاضل المهدي قائلا ـ

ـ سيدي ، هل تطير هذه الساعة ؟

كان الرائد الطيار فاضل يقلب بين يديه مجموعة من الاوراق ، ودون ان يرفع رأسه منها اجابه ـ

ـ سوف يتوقف العمل بهذا المنهاج .

فقال له النقيب ياسين ـ

ـ حالة الجو جيدة ، وتساعد على الطيران .

اجابه الرائد الطيار فاضل مؤكدا ـ

ـ نعم ، ولكنكم ستنفذون الطلعات التدريبية للواجب .

اجابه فرحا ـ

ـ حسنا هذا مانريده .

× × × × × × × × × × × × ×

× × × × × × × × × × × ×

منذ يوم أمس ، ورأسه ممتلىء بقضيتين مهمتين بالنسبة له قضية مستقبله

ـ كما اكد لشقيقته الحاجة بدرية ـ مع من يحب ، اما القضية الثانية فقد بت بها امام آمر القاعدة وآمر السرب عندما استدعوه قبل ساعة تقريباً للمرة الثانية .

كانت المرة الاولى عصر أمس ، عندما اخبره المقدم الطيار طارق السعدوني بالذهاب الى مقر القاعدة للالتقاء بآمر القاعدة ... لم يسأله السبب لأنه قد هيأ نفسه الى هذه المقابلة ... اما هذا الصباح ، فقد اكد مع نفسه وهو في طريقه اليهم ، بان الحديث معه لاطائل عنه ... فقد قرر أيه على الشهادة او الوصول بالطائرة الى ارض الوطن سالما .. بعد ان جلس ، سأله آمر القاعدة :ـ

ـ هيا نقيب ياسين ، كيف الاحوال ؟

رد عليه شاكرا :ـ

ـ الحمد لله ياسيدي .

ـ اتعرف ، سأله آمر القاعدة ، ان رأي آمركم كان متفقا مع رأيي في اشراكك في هذا الواجب التعبوي .

وبدون تردد سأله :ـ

ـ وهل هناك مانع في ذلك ياسيدي ؟

اجابه :ـ

ـ ربما ،

سأله :ـ

ـ هل هو قراري حول عدم ترك الطائرة ؟

قال له آمر القاعدة :ـ

ـ نقيب ياسين نحن نعرفك جيدا ، انت طيار شاب وكفوء ، ولانريد ان نفقدك .

قاطعه النقيب ياسين قائلا :ـ

ـ سيدي ، ارجو المعذرة اذا قطعت حديثك ، ولكنني لااستطيع ان اغير رأيي الذي بنيته على اسس مبدئية وفكرية انا اؤمن بها .

فرد عليه آمر القاعدة :ـ

ـ ولكن هذا انتحار .

اجابه :ـ

ـ سيدي ولماذا لاتقول انه بطولة ، رغم انني لاأريد ان امدح نفسي ، نعم بطولة في مواجهة الموت بدلا من ان اواجه الذل ، الموت بشرف ولا الحياة بذل .

كانت كلماته الاخيرة قد وجدت لها اثراً على وجوه آمريه ... الذين ادهشتهم صلابته ... وبعد صمت دام للحظات ، سأله المقدم الطيار طارق :ـ

ـ نقيب ياسين ، نحن بحاجة لامثالك من الطيارين .

رد عليه :ـ

ـ شكرا ياسيدي ، اعرف ذلك جيدا ، ولكن كيف تحتاجوني وأنا اسير ذليل لاأعرف مصيري بيد اعدائي ، كيف ذلك ياسيدي ؟

سأله آمر القاعدة :ـ

ـ وكيف تقرر مسبقا وقوعك اسيرا (لاسامح) الله ؟

اجابه كمن يشرح له معضلة لاحل لها :ـ

ـ سيدي ، نحن نتحدث عن شيء غير معلوم ، شيء هو في الغيب ، تخمين

ليس الا ... وقد وضعت امامي هذا الاحتمال الذي لااريد .

ليس لنفسي فحسب بل لجميع رفاقي الطيارين ...

اما الحل فيما لو حصل (لاسامح الله) ، ولكي لااتعب تفكيري في اللحظات تلك ، فقد قررت اما الاستشهاد داخل الطائرة في حالة عدم وصولها الى ارض الوطن وهي معطوبة او مضروبة ،او الوصول بها فيما كان ذلك ممكناً .

قال له المقدم الطيار طارق :

ـ هذا حسن ، الوصول بالطائرة الى ارض الوطن بسلام ، هذا مانريده نحن ، اما في حالة كون الطائرة غير صالحة للوصول بها الى ارض الوطن فالمضلة هي الكفيلة بذلك ، اليس كذلك ؟

سأله النقيب ياسين :ـ

ـ ومن يضمن لي ان العطل او الخلل سيحدث للطائرة في اماكن قريبة من الحدود ، بحيث يمكن للمظلة من اعادتي الى ارض الوطن سالما ؟ ..

كان الحديث بينهم يدور في حلقة مفرغة ـ كما اكد آمر القاعدة ـ عندما وجد ان لاسبيل في تغيير القرار الذي اتخذه النقيب الطيار ياسين عبد الرحمن .

اما هو فقد ترك الغرفة بعد ان ادى التحية وخرج .

× × × × × × × × × × ×

× × × × × × × × ×

× × × × × × ×

قال لها :ـ

ـ سوسن هذا ماقررته مع نفسي .

ام تندهش ، وانما سكتت قليلا عندما سمعت قراره .

كان يجلس بالقرب منها في بيت اخته ، في احد ايام اجازته الدورية .

سألها :ـ

ـ ها ماذا تقولين ؟

اجابته :ـ

ـ ياسين ، اعرف انك بطل ، ولولا ذلك لما قبلت ان ارتبط بك باية علاقة كانت .

صحيح ان حياتي قد اصبحت مرهونة بحياتك ، ولكن اسألك هل فكرت بذلك جيدا ؟

اجابها جادا :ـ

ـ سوسن ، انا لاالعب بمصير حياتي ، او حياتك ، انا اعرف جيدا ماافعل ، وما اعمل ، ومافكر به ... وهاانا اخبرك برأيي قبل ان ...

قاطعته :ـ

ـ ومن قال لك ان والدي سيقبل ؟

اجابها بامتعاض :ـ

ـ انا لاأطلب مسبقا موافقة والدك على رأي أنا اتخذه ولااريد ان ... قاطعته مرة ثانية وقد انفرجت شفتاها عن ابتسامة صغيرة :ـ

ـ لذا هذا الانزعاج ، انا امزح معك ، قلت ذلك لاغيظك قليلا .

سألها باندهاش :ـ

ـ وهل الوقت ، وقت مزاح ياسوسن ؟

سالته بجدية :-

ـ اجاد انت ؟

اجابها :-

ـ نعم .

عندها قالت له بثقة :-

ـ اذن ، فتوكل على الله .

سألها :-

ـ ووالدك ؟

اجابته :-

ـ سيقبل حتما ، ارجو ان تطمئن من طرفي ... وسأدعو الله ان يحفظك من كل مكروه ..

× × ـ × × ـ × × ـ × ×

٣

على منطقة خط الاقلاع «اللاين آب» اوقفت طائرتي خلف طائرة قائد التشكيل المقدم الطيار طارق السعدوني من الجهة الثانية فيما توقفت خلفنا طائرتا الرقمين الثالث والرابع وهم النقيب الطيار سيف الناصر والملازم الاول الطيار خالد الموفق اما طائرات التشكيل الآخر الذي يقوده الرائد الطيار فاضل المهدي فمازالت تدرج على المدرجة الاخرى .

كان الجو هذا اليوم صحوا ، والفضاء امامنا مفتوحا ... حيث بدت زرقة السماء صافية ... ولاحت من بعد بعض غيمات صغيرة بيضاء متحركة .

كان المدرج من امامي طريقا معبدا مفتوحا الى امام حتى الافق ، ومن بعيد لاحت لي ملاجيء الطائرات الكونكريتية بلونها الداكن وكأنها اجسام مخلوقات خرافية هبطت من السماء وانزرعت باجسامها المحدبة على اديم هذه الارض .

كنا بانتظار امر الاقلاع من السيطرة الجوية التي كان برجها العالي قد لاح لي على يسار المدرجة مثل عمارة ذات طوابق متعددة ... ادرت رأسي الى الجهة الاخرى كانت البنايات الواقعة على يمين المدرجة كما عهدتها في كل

مرة اطير فيها حيث بدت لي بلونها التبني تحت وهج الشمس وكأنها تسبح في نور الله الممتد بين الارض وزرقة السماء .

كل شيء هادي في القاعدة ... أما بين الملاجيء فقد كانت الحركة مازالت على اشدها ، حيث المراتب الفنيون يقومون بفتح الصناديق الخشبية الكبيرة لاستخراج القناير منها لتهيئتها لواجبات اخرى .

نظرت الى اللوحة الامامية للمقصورة ، كانت بعض (الاضواء) الحمراء والصفراء قد انطفت مبينة سلامة عمل بعض اجهزة الطائرة ، اما المبينات فقد راحت عقاربها تبين لي سلامة اشتغال المحرك ... عندها تأكدت من ضابطة الوقود ... ووضعية بعض ملحقات الطائرة ، واضواء التحذير ... الساعة التي امامي تشير الى التاسعة صباحا بالضبط ، كان الوقت مناسبا عندما اركنت سيارتي الخاصة في الساحة القريبة من جزيرة بغداد السياحية ...

لم اشأ ان احرجها عندما طلبت منها بالهاتف ان نلتقي ... قالت :-

- سأراك قرب باب الجزيرة .

قلت لها :-

- سأنتظرك في الشارع .

رفضت وقالت بتوسل :-

- ارجوك ، لاتحرجني ... سآتي انا بنفسي ... ثم وبصوت خفيض سمعتها تقول ، مع السلامة ... لقد وصل والدي .

عندها سمعت صوت قائد التشكيل وهو يطلب من السيطرة السماح له بالاقلاع ... ثم طلب منا ضبط الوقت ... عندها بدأت باجراء عمليات التهيء للاقلاع ... فيما كانت طائرة قائد التشكيل قد سبقتني في التحليق .

رفعت يدي من عتلة الموقف ، فاحسست بالطائرة تنجذب بقوة الى الامام ... وجسمي يتراجع للخلف ... كان قوة كبيرة قد دفعته ليلتصق على المتكأ العمودي للكرسي ... وتحرك المدرج الكونكريتي نحوي كالسهم منطلقاً ... وانا اتقدم الى امام بسرعة فائقة ... عندها سحبت عصا القيادة الى الخلف فبدأت البنايات والاشجار والاشياء من حولي تهبط الى الاسفل فيما انا احلق في الفضاء الذي ملأته اشعة الشمس .

بدأت طائرتي تحلق في فضاء واسع ، صاف ، لاغيم ، لاتراب ، لاعواصف ... قلت مع نفسي الحمدلله .

بعد ان اكملت جميع اجراءات الاقلاع واستويت بطائرتي في الارتفاع المحدد لي ، نظرت الى جهاز الاتجاه ، كان مؤشره صحيحا الى الجهة التي حدد الطيران باتجاهها .

قبل اكثر من نصف ساعة ، كنا داخل غرفة الحركات ... ننصت الى آمر القاعدة وهو يشرح لنا المهمة التي سنقوم بها ... قال ، واشار باصبعه على مكان في الخارطة التي امتدت امامنا :-

- هذا هو المعسل ... ومن هنا المسالك التي يجب الدخول من خلالها والوصول الى الهدف .

وقبل ان يودعنا ، اكد لنا للمرة الثانية وقت الوصول الى الهدف .

بعد ذلك اخذ قائد التشكيل يسألنا الواحد بعد الآخر عن المهمة وكيفية الوصول الى الهدف والخروج منه بعيدا عن الدفاعات الجوية التي حددت - احتمالا - اماكن تواجدها ... فكانت اجاباتنا دقيقة ... وتتم عن فهم كامل لما سنقوم به .

عندها قال :-

ـ اذن توكلوا على الله .

لمست خارطتي الصغيرة ، رتبت وضعها ثم دسستها في جيب بدلتي الشفاف بعد ان دونت بعض الارقام والحروف الدالة على الارتفاعات والاتجاهات .

لم يكن هذا الواجب هو الاول من نوعه الذي اشترك في تنفيذه في العمق الايراني ... فقد كان لي شرف الاشتراك في اكثر من مهمة داخل العمق الايراني ، خاصة في ضرب اهم المراكز الاقتصادية الحيوية لديه ... حصلت على نوطي شجاعة ، وتشرفت بمقابلة السيد الرئيس القائد حفظه الله لمرتين ... وهاانا اقود طائرتي لادخل بها العمق الايراني ... فلا خوف ، ولاوجل ... فقد اصبح الفضاء الايراني مفتوحا امامنا ... وهاهي الطائرة تستجيب لكل الاجراءات التي اقوم بها ... وهاانا ابصر من امامي طائرة قائد التشكيل وهو يقودنا الى منطقة الهدف ... منطقة (بهمشير) الى حيث المعمل الذي يتم فيه تصنيع وتصليح الزوارق البحرية .

كانت الساعة تشير الى التاسعة وخمس وعشرين دقيقة ماالذي يمكن فعله هذه اللحظات ، فالوقت مازال مبكرا ، وطائرة قائد التشكيل المقدم الطيار السعدوني امامي ، المحها تشق الفضاء كنسر عربي يحلق في اعالي الجبال ... انظر لها كي تكون طائرتي بتماس معها ... سوف لن ادعها تغيب عن نظري .

كنت الم عبر المرآتين الجانبيتين لمقصورة طائرتي ، الطائرتين الاخريين ... كانا بتماس معنا ... كنا نشكل تشكيلا رباعيا جميلا ... القائد في المقدمة وانا خلفه الى اليسار ، اما النقيب الطيار سيف الناصر فقد كان بالخلف منا الى جهة اليمين من قائد التشكيل ، ومن خلفه طائرة الملازم الاول

الطيار خالد الموفق ... هذا الطيار الذي احس به يقود طائرته ليلحق بنا ... لاخوفا من احد ... ولكنه ليظل محافظا على مكانه في التشكيل ، فهي المرة الاولى التي يشترك فيها في هجوم على هدف داخل الاراضي الايرانية .

عندما بلغنا منطقة الحدود الدولية ... بدأ الصمت اللاسلكي ... سكانت اجهزة (الارتي) ... وبدأت السنتنا تلوك الكلمات بشفتين مطبقتين ... لاهمسة ، لاكلمة ... ولانامة حتى ... سوى صوت هدير اربع محركات لطائرات اسرع من الصوت يسمع في الفضاء الايراني المستباح ...

رفعت آذاننا مع هذا الصمت ... وبدأت عيوننا ترسم لها خطوطا وهمية على لوحة العدادات الامامية ... فتمسحها كما يمسح هوائي الرادار الفضاء الواسع ... للتأكد من سلامة عمل اجهزة ومنظومات الطائرة .

الصمت هنا ، والسكون الذي ملأ الفضاء الصغير الذي يحيطني في المقصورة قد حرك في نفسي شعورا بالملل ... تساءلت هل اغني لنفسي ، كان السؤال مضحكا ، لانني اعرف اجابته مسبقا ، فصوتي هو الآخر سوف لايمنحني سوى الملل والضجر ايضا ... ولكن ما الذي يمكن فعله في هذه اللحظات ؟؟؟ .

لحظات الانتظار والترقب ... لحظات ماقبل الوصول الى الهدف ... والسكون والصمت يحيطان بي كغول كبير يسد على منافذ الهواء والضوء ... كان الملل يتسرب من بين اصابع يدي ، فقد تركت عصا القيادة قليلا ... نظرت في المرآتين الجانبيتين ... كانت طائرتا الرقم الثالث والرابع مازالتا من خلفي الى الجانبين ... اما مؤشرات الطائرة ، فكان كل شيء يتوضح من خلالهما يعمل بصورة جيدة ... وكنت بين فترة واخرى اقوم

بعمل ما لتحويل اتجاه مسار الطائرة ، او التغيير في سرعتها او ارتفاعها حسب مانقتضيه خطة الطيران .

احسست بخدر قليل (ينمل) في جسمي واعصابي ... وأولا بدلة (الجي سي) لنزل الدم كله الى اطراف اصابع قدمي .

سألته اخته الحاجة بدرية ... بعد ان رفعت من امامه صينية الطعام..

ـ هل نمت جيدا ؟

اجابها بفم يمضغ مانبقى فيه من الطعام :ـ

ـ نعم ... لقد غفوت سريعا حين وضعت رأسي على الوسادة كنت تعبا جدا .

سألته وهي تضع كفا باردة على جبينه :ـ

ـ حرارتك اعتيادية ، هل تحس بشيء ؟

اجابها وابتسامة صغيرة حملت مافيه من حب يكنه الى هذه الاخت الحنون .

ـ كلا ... انا بصحة جيدة .

قالت له متسائلة :ـ

ـ هل زرت والدك واخوتك ؟

وبحركة من رأسه ، فهمت انه لم يزر والده . ثم قال لها :ـ

ـ من القاعدة الى هنا مباشرة .

كانت الحاجة بدرية اخته الكبيرة ، لقد ربته في حضنها بعد ان توفيت والدته بعد الولادة مباشرة ... فكانت له الأم والاخت ... وظل متعلقا بها ، حتى بعد زواجها ، فكان بيتها هو بيته .

قالت له وهي تقدم له (استكانا) من الشاي :ـ

ـ قبل يومين سألني الوالد عنك ... الم تتصل بهم من هناك ، اجابها :ـ

ـ سأزورهم بعد قليل ...

قالت له وهي تأخذ الاستكان الفارغ من يده :ـ

ـ ساعد لك الحمام ...

كان صوت قائد التشكيل يخبرنا الوصول الى منطقة الهدف ... تلفت يمينا وشمالا ، كان الفضاء بامتداده الواسع يحيط بغطاء المقصورة من كل الاتجاهات ... عندها مددت يدي اليسرى الى ضابطة الوقود لتحريكها الى الامام ...

قالت له الحاجة بدرية :ـ

ـ لاتهتم ... سأنهي القضية ... والدتها صديقتي .

اجابها باستغاظ :ـ

ـ ولكن والدها ... والدها يرفض ذلك ...

وان طائرتي تتسلق الى الاعلى ، فبدت السماء من امامي زرقاء صافية

قالت بعد ان تناولته قنينة العطر :ـ

ـ سأذهب انا والحاج الى بيتهم ... سنقنعه ... وعندما تأتي في الاجازة القادمة ستعقد عليها القران ان شاء الله .

دفعت بعصا القيادة الى الامام ، فبانت الارض من امامي مفتوحة ولاحت لي من بعيد معالم المصنع وابنيته الكبيرة .

اخذ راسها بين يديه ، قبلها على جبينها وقال :ـ

ـ سأذهب الى بيت الوالد ، هل ترغبين في شيء ؟

اقتربت من الارض بسرعة فائقة ... كانت ابنية المصنع تتقدم نحوي بسرعة خلتها انها بعد ثوان ستصطدم بي ...

قالت له وهي تودعه عند باب الدار :ـ

ـ الله معك .

بعد انتظار ممل وطويل ... التقطت عيناي علامة الهدف التي ظهرت على

اجهزة التسديد ... وفي لحظة من الزمن ... وبثقة ... وتفكير صافٍ مددت اصابعي الى الزر فضغطته .

كانت الشمس اول ماصافحت وجهي الاسمر عندما اغلقت باب الدار خلفي ودعواتها مازالت ترن باذني ... عندها وبحركة من يدي انزلت الزجاج الاخضر للخوذة على عيني ... فقد بدأ شعاع الشمس يلتمع على الزجاج الامامي للمقصورة .

قالت لي : لاتهتم ... كل شيء سيكون حسبما ترغب عندها سحبت عصا القيادة الي ... فاحسست باندفاع الى الاعلى ... كانت جميع مؤشرات الطائرة تبين لي حالة التسلق التي تقوم بها الطائرة بعد ان افرغت مافيها من حمولة .

عندما املت طائرتي ... رأيت النيران تشتعل في المصنع ... حيث امتلأ الجو المحيط به بالدخان ... وبانفجارات متلاحقة .

كانت الطائرة الثالثة والرابعة قد لحقتهما وهما تقذفان بحمولتهما على المصنع ... كل شيء تم بأمان وسلام .

عندها احسست بشيء يصطدم بطائرتي من الخلف ... يهزها هزا ... قوة ماتقلق حالة السيطرة والاستقرار التي كانت تمتلكها الطائرة ... قلت مع نفسي لاشيء ... لكن صوت النقيب الطيار سيف الناصر باغتني اخرجني من عالم الفرحة التي كنت اعيش وانا ارى فعلي في هذا المصنع الفارسي اللئيم .

ـ ياسين ضربت طائرتك .

كانت الطائرة تهتز من تحتي ... ثم بدأت تهوى الى الاسفل .. نظرت الى المرآة الجانبية ... كان الدخان الاسود قد ملأ صفحتها الشفافة ... حاولت ان اعدل من وضعية الطائرة ... سحبت عصا القيادة نحوي ... حركتها الى

اليمين ... ثم الى الشمال ... كانت الارض هي اول ماصافحت بصري ... سحبت مرة اخرى العصا الي لاخراج الطائرة من حالة فقدان الارتفاع كانت بداية حجارة صلبة لاتلين .

عندها جاءني صوت قائد التشكيل :ـ

ـ ياسين اقذف .

× × ـ ـ × × ـ ـ × × ـ ـ × ×

٣

عندما اهتـزت الطائرة من تحتي ، كنت انـا وقتها اعيش فـرحتي الخاصة وامارس طقوس سعـادتي ... وانا انـظر الى هذا الجحيم الذي صنعته مع رفاقي على ارض العدو .

انا جحيماً من نوع خاص ، لم ير مثله الاعداء ... ولم يمر ببالهم انهم يدرون مصنعهم هذا ، بل مصانعهم ومشاريعهم وكل ماأعدوه للعـدوان علينا ... سيروه وقد تحول الى هشيم تذروه الرياح بفعل سواعد العراقيين الابطال ...

لقد تركنا كل شيء على ارضهم خرابا ، واصبح هذا الخراب مهرا تزف به العربان .

مرة ، وعندما كنت القي محاضرة في التوجيه السياسي على المراتب العاملين في السرب ، سألني احدهم عما يجنيه الخميني من حربه هذه ضد العراق .

اجبته وانا اضحك ـ

ـ سوف لن يجني شيئا ، ولكن الخراب الذي سيعم عندهم سيكون ذا فائدة للغربان .

رأيت الدهشة ترتسم على ملامح وجوه المراتب ، فيما سألني الشخص نفسه عما اعنيه بذلك ، عندها قصصت له حكاية احد ملوك الفرس الطغاة ، ذلك الملك الذي اصبحت ايران في عهده مجموعة من الخرائب ... وعندما كان الملك هذا مع وزيره في رحلة صيد مرا بخربة ، وسمعا حديثا يدور بين غرابين ... كان وزيره يفهم لغة الطيور ، فسأله الملك عما يجري من حديث بينهما فاجابه الوزير قائلا :

ـ ان الغراب الاول يطلب من الغراب الثاني مهرا ابنته مئة خرابة فرد عليه الثاني بالموافقة وعندما سأله الاول :ـ من اين ستحصل عليها اجابه قائلا : مادام ملكنا هذا موجود في الحكم ، فاننا سنحصل على مئات الخرائب .

ضجت القاعة بالضحك .

توالت الانفجارات الواحدة بعد الاخرى ، مولدة نارا بدأت تلتهم مافي هذا المصنع من الات واجهزة وابنية :

القنابر تتساقط ... تنفرط من تحت جسم الطائرة كانفراط حبات المسبحة ... تشق الفضاء ... تمرق فيه كما يمرق السهم وعندما تصل الارض تختفي لتتناثر نارا وحديدا وموتاً ... وكانت كلمة (ريليز) هي المفتاح السحري لانفراط حبات المسبحة ... لفتح ابواب جهنم ... ابواب الغضب العراقي الذي يزحف عليهم كالسيل الهادر لايحده حد ولايمسكه سد ... هذا ماارادوه ، رددت مع نفسي فرحا ...

كان كل شيء يسير بسلام ... واجهزة القياس المثبتة على اللوحة الامامية في المقصورة ، تبين ان اجهزة الطائرة تعمل بصورة جيدة ... حتى

جهاز التسديد قد بين الهدف بصورة جيدة فمكنني من القاء القنابر في الوقت المناسب ... ولكن الاهتزاز القوي الذي احسسته من تحتي وانا جالس على الكرسي قد اجفل في نفسي سعادتها ... كان الاهتزاز قويا بحيث تحركت جميع مؤشرات العدادات التي امامي بصورة غير طبيعية ، فيما إنتلقت مجموعة من المصابيح الحمراء امام عيني كاشارات سيارات الاسعاف عندما اصبحت الطائرة في وضع غير مستقر ... كانت القوة قد دفعتها دفعا ، واقلقت استقرارها في الجو .

الضربة كانت في مؤخرتها ... وكان صوت الملازم الاول خالد الموفق قد تداخل مع صوت النقيب الطيار سيف الناصر وهم ينقلون لي خبر ضرب طائرتي ... تجمد الصوت في اذني ... فيما طائرة قائد التشكيل تنتهي من استدارتها الى ارض الوطن بعد ان تسلقت الى الاعلى ـ

بدأت الطائرة تفقد توازنها ، فانتبهت الى انني قد فقدت السيطرة عليها ، فيما راح عداد الارتفاع يبين انخفاضاً سريعا في ارتفاع الطائرة ...

كانت الطائرة تهتز من تحتي ... بل هي تهزني بقوة وتأخذني الى الاسفل ... حاولت بكل قوتي ان اسحب عصا القيادة الي لاخرجها من انحدارها الشديد الى الاسفل ... رأيت مقدمتها ترتفع قليلا لتعبر خط الافق الذي لاح لي من بعيد بين الارض والسماء ... السماء التي عشقتها ... هذه الزرقة الشفافة الصافية ، والارض التي بدا القلب وجيبه وهو متشوق اليها ... الى صفاء عينيها ، حتما انها تنتظرني ... ولكن لا ... انها تنتظر ان اتصل بها ، فهي تعرف ان هجوم العدو ومازال على اشده ، وتعرف انني لاستطيع السفر اليها ، سأحاول الاتصال بها هاتفيا ..

كانت فرحتي كبيرة بما نقله لي الملازم الاول خالد الموفق عن موافقة

والدها ... وقتها لم استطع كباح نفسي ، طرت فرحا قبلته دون اي حرج ... كانت الفرحة قد وجدت طريقها الى نفسي ... هاانا قد سجلت نقطة عليك يـانقيب سعـدون العـاكف ، لقـد حلت مشكلتي فمتى تنتهي انت من مشكلتك .. ؟ متى يوافق عمك على تزويجك من (امل) .. متى نجعل فرحتنا واحدة ياسعدون ؟

قلت للملازم الاول خالد :-

ـ سأتصل بها عندما تعود من تنفيذ الواجب ان شاء الله سـأتصل بهـا حتما ... سأهنئها ، سنجعل من اسلاك الهاتف معبرا لفرحتنا وسعادتنا ..

كانت المرأة الجانبية الصغيرة قد انـطبعت عليها صـورة مؤخـرة الطائرة ... وخط اسود من الدخان ينبعث منها ... عندها تيقنت ان قذيفة معادية قد نالت من مؤخرتها ... اللعنة ، رددت مع نفسي اللعنة عليهم ... سوف لن امكنهم مني ... سأقود الطائرة رغم كل شيء الى ارض الوطن .

قال لي المقدم الطيار طارق السعدوني وهو يحثني الى تغيير ما اتخذته من قرار :-

ـ نقيب ياسين ، صحيح ان قرارك هذا قرار بطولي ، لكننا بحاجة اليك ، نحن لانريد ان نفقد طيارا واحدا ...

قلت له وكأني اريد ان اضع حدا لكل محاولاته في دفعي لتغيير ما اتخذته من قرار :-

ـ سيدي المعذرة ، انا آسف ... وهذا قراري الاخير .

كان صوته قد عبر جهاز (الارتي) آمرا ، فتصلب في اذني :-

ـ ياسين اترك الطائرة فورا .

فيما راح صوتها يرن في اذني وهي تبارك قراري عندما سألتها عن رأي

والدها ، قالت :-

ـ سيقبل حتما ... ارجو ان تطمئن من طرفي ... وسأدعو الله ان يحفظك من كل مكروه .

كانت الطائرة تتقلب وانا داخلها مثل حجارة مقذوفة في الجو ... فيما كنت احاول بكل قوتي ان احرك عصا القيادة التي اصبحت اشبه بالصخـرة الصلبة ... كان صوت قائد التشكيل مازال يدوي في اذني ، طالبا مني ترك الطائرة . قلت مع نفسي ، لا ... لايمكن ان افعل ذلك ... سوف لن اتركها تحترق كشيء مهمل في ارض العدو ... سأحاول ايصالها الى ارض الوطن ، وهناك ، هناك فقط يمكنني ان اتركها .

كان كل شيء في المقصورة يشير الى ان الطائرة تقودني نحو الارض ، فهاهي مقدمتها بعد ان عدلت من وضعها قبل لحظة تعود مرة اخرى متجهة الى الاسفل ... تنحدر بشدة ... جهاز الافق يبين لي ذلك بصورة جلية ... فيما راحت تهتز بشدة ... ثم بدأت تتقلب عـلى جانبيهـا ، قوة مـا بدأت تدورها ... السماء تدور بي ... الارض تقترب مني ... سماء ارض ...

ـ ياسين ، اترك الطائرة فورا .

الطائرة تدور ... وهي تنحدر بي ... عندها انتبهت ، شددت بيدي على عصا القيادة التي اصبحت غير طبيعية ... كان صوت قائد التشكيل هذه المرة اكثر حزما ... حيث استفزني كلية ... اجبته وانا اعيد الطائرة الى وضعها الافقي :-

ـ سيدي سأعود بها .

مرة اخرى ، فقدت السيطرة عليها ... اصبحت غير طبيعية لدى ... حاولت سحب عصـا القيـادة الى الخلف لاكسبهـا بعض الارتفـاع تفـاديـا من الاصطدام بالارض ... كنت اجذب عصا القيادة الي وكأنني اسحب ثقلا

كبيرا ... اسناني تزم على شفتي السفلى ، يداي تجتـــبان العصا ... صوت الملازم الاول خالد يصرخ معلنا ضرب طائرة النقيب الـــطيار سيف الناصر ... سيف الناصر تضرب طائرته هو الآخر ... صرخت :ـــ اللعنة عليهم سوف لن نمكنهم منا هؤلاء الاوغاد ... سوف لن ادعهم يفرحوا باصابتنا ... سأقود الطائرة الى ارض الوطن مهما كلف الامر ... وحتما سيفعل مثلي النقيب سيف ... فانا اعرفه طياراً شجاعاً ... سوف لن يمنحهم فرصة اخذه اسيراً .

كانت الطائرة من تحتي غير مستقرة ... ويداي ممسكتين بالعصا ... وسوف لن اتركك تحترقين وحدك ياحبيبتي في ارض العدو . سأوصلك الى ارض ـ الوطن او ... سنحترق سوية نحن الاثنين ... قرار لارجعة منه ...

ـ ولكن والدك يرفض ذلك . ؟

ـ سيقبل حتما ... ان والدي رجل طيب ، وهو ليس بعنيد .

ـ ولكنه يخاف مني !

ـ منك . ولماذا ؟

ـ لانني طيار ، ويخاف ان تترملي من بعدي .

ضحكت ، ضحكت وكأنها لم تضحك من قبل :ـ

ـ وهل صدقت بذلك ؟

ـ هل هناك سبب آخر ؟

ـ لا ، ولكنه يخاف علي كما قلت ، ورغم ذلك سوف يتقبل ... كانت هي تهوي الى الاسفل ... فيما انتشرت الاضواء الحمراء في القصورة ... وبدأت اصوات تصرخ في اذني تنبهني عن اكثر من عطل . ... ايها الصوت الجميل الذي يصرخ بي وانت لاتعرف من انا ... ماالذي تريده مني ؟ اتريد ان

اترك الطائرة تحترق في ارض العدو لاهرب انا سالما منها ، حيث ساكون طعما سهلا في افواه هؤلاء الاوغاد ... لا ... لا .

احسست بالارض تتجه نحوي بسرعة ، كانت الارض تقترب مني ... المسافة تقصر بيني وبين الارض ... الاضواء الحمراء انتشرت امامي ... صوت الفتاة يصرخ بي ... طائرة سيف قد اصيبت ... تداخل صوت قائد التشكيل مع صوت الملازم الاول خالد ... الارض تتجه نحوي ... مقدمة الطائرة كرأس سهم يتجه نحو الارض بسرعة فائقة ... اهتزاز عنيف في الطائرة هزّ كل جسمي ، خضتني خضاً وانا مشدود الى الكرسي ... نظرت الى عتلة القذف الحمراء ... كانت في مكانها ... احسست بها تناديني ... تصيح بي :ـ

هيا يا ياسين امسكني ... مد يديك شدني اليك بقوة ... لاتتركني هكذا دون عمل ... شدني اليك ... ضربت طائرة سيف ...

وطائرتك تتجه بك الى الارض ... الوقت يمر سريعا وهو ليس بصالحك يا ياسين ... آمرك بترك الطائرة ... وهاانا جاهزة للعمل ... حركة من اصابعك تجد نفسك في الفضاء ... ستتخلص من هذا الجحيم ، الفضاء بانتظارك ... زرقة السماء تناديك ..ستنقذك المظلة ... ستنقذك من هذا الموت القاتل ... هيا يا ياسين .

كانت اذناي قد تداخلت فيها جميع الاصوات ... صراخ ... همس ... صفير ... اصوات غير مفهومة ... عندها مددت يدي الى العتلة الحمراء ... احسست بها لاتطاوعني ، فيما كان صوتها يرن باذني :ـ

ـ سيقبل حتما ... ارجو ان تطمئن من طرفي ... سادعو الله ان يحفظك من كل مكروه .

البشارة يا ياسين ... خالد وهو ينقلها لي ... اختك الحاجة بدرية وهي فرحة بقبول والدها ... والعتلة الحمراء تصرخ بي ـ مد يديك ياياسين ... صوتها ياتيني من بعيد ... اترك الطا حثرة ... الارض تتجه نحوي ... مقدمة الطائرة تقودني الى الاسفل ... امسكت بالعتلة الحمراء ... تحسستها براحتي يدي ، هل هي باردة ؟ كانت القفازات تمنع عني مافيها من برودة او سخونة ... لمست اصابعي على العتلة ... والارض تقترب مني ... حاولت شدها الي ... جفلت ... صرخت ... لايمكن ان افعل ذلك ... كانت المسافة بيني وبين الارض قد تناقصت ... اصبحت ارى مافيها من اشياء بكل وضوح ...

كانت الاجهزة جميعها قد توقفت عن العمل ... والارض تستقبلني ... هاانا اراها تفتح ذراعيها ... تناديني اليها ... عندها سمعت صوتي يتحجر في الذي :ـ

ـ لااله الا ...

× × × × ـ ـ ـ ـ ـ × × ـ ـ ـ ـ × ×

× × ـ ـ ـــ ـ ـ ـ

سيف الناصر ...

الفضاء ، المجهول ، الوطن

١

قبل لحظة ... ثوان معدودة ... هي قليلة في حسابات الزمن . لكنها في عالم الطيران هي بعمر الدهر ، حيث للزمن دوره الكبير والفعال في الحسم مابين الوصول الى الهدف وتدميره ... وبين العودة سالما الى ارض الوطن موشوما بالرجولة والبطولة ومتشحا بوشاح النصر والفوز .

قبل لحظة ، كان النقيب الطيار سيف الناصر جالسا على كرسي الطائرة ، الكرسي الذي حضنه كما تحتضن الأم وليدها بين ضلوعها ... اما الآن ، فهاهو معلق في الجو بخيوط حريرية رفيعة هي خيوط المظلة التي انتشرت فوق رأسه .

كان كل شيء قد انتهى بسلام ... واجهزة الطائرة تبين له ان كل شيء يسير حسبما يرغب ... وهاهي طائرته تشق الفضاء المحيط به بسرعة الى هدفها في عمق الاراضي الايرانية ... تستعجل الدقائق والثواني للوصول اليه لتدميره .

كانوا اربعة ... وكما يطلق عليهم حسب سياقات الطيران ، تشكيل

رباعي ... يضمه هو والنقيب الطيار ياسين عبد الرحمن والملازم الاول الطيار خالد الموفق بقيادة المقدم الطيار طارق السعدوني ... وكان ترتيبه الثالث .

كانت معارك القفار البرية على اشدها ... عندما طلب من تشكيلهم ضرب احد معامل تصليح الزوارق البحرية والذي يقع على نهر (بهمشير) في عمق الاراضي الايرانية ... كان ذلك قبل ثلاثة ايام ... حيث تم اجراء بعض التمرينات على كيفية ضرب الهدف ... وعندما وجدت غرفة العمليات في قيادة القوة الجوية ، ان التشكيل قد استوعب جميع التمرينات لضرب الهدف ، حددت لهم ساعة الصفر ...

في غرفة حركات القاعدة ، قال لهم العقيد الطيار الركن محمد المحسن آمر القاعدة ، وهو يشير بأصبع يده اليمنى على خارطة مصورة مفروشة امامه على احد المناضد الخشبية الكبيرة في غرفة الحركات .

ـ هذا هو موقع العمل ... وهذا هو نهر (بهمشير) عندها تركزت العيون جميعها على المنطقة التي تحرك حولها اصبع آمر القاعدة ، وبعد ان تأكد له ان الجميع قد شاهدوا المكان على الخارطة بصورة جيدة .. استطرد قائلاً :ـ

ـ حسب المعلومات الاستخبارية ... فان العدو يعتمد بصورة كاملة على هذا المعمل في تصليح زوارق بحريته التي اصبحت اهدافاً سهلة لقواتنا البرية والبحرية والجوية كذلك ... يعني موهنا عدل آمر القاعدة من وضع قامته ، حيث وقف منتصباً ، وتابع قوله وهو يؤكد امام ضباطه :ـ

ـ هذا يعني ان الاصابة المباشرة ، والقاتلة له تعني خسارته لاهم مركز صناعي عسكري في تلك المنطقة وحتما فان عملكم هذا سيؤثر في معنويات

جنوده ان كان ذلك في قواته البحرية التي اصبحت لاتستطيع رفع راسها امام قواتنا الباسلة ... او في سائر صنوفه العسكرية ... وخاصة بالنسبة للضفادع البشرية التي كثيرا ماكانت تستفيد منه خلال القيام بفعالياتها امام قواتنا ...

× × × ـــــــــ × × ×

كانت الضربة موفقة ، مما دفع بقائد التشكيل المقدم الطيار طارق السعدوني الى الهتاف فرحاً :-

- عاشت ايديكم يابطل .

حيث استطاع من خلال خبرته المتراكمة ... ودوره في قيادة تشكيله مخترقا دفاعات العدو الجوية المزروعة حول المصنع للوصول الى الهدف بسلام ومن ثم تدميره تدميرا كليا وترك السنة النيران مشتعلة فيه ، والدخان يتصاعد اسود في الفضاء كغيمة كبيرة لا اول لها ولا آخر معلنة عن انتهاء دور ذلك المصنع واحالته الى ركام وانقاض .

عند انتهاء هجومه على المصنع ، استدار النقيب الطيار سيف الناصر كزملائه بطائرته بزاوية حادة ، بعد ان وضعها بشكل مائل كي يشاهد وهو يتجه الى ارض الوطن آثار ضربته ومكان تساقط وانفلاق قنابر طائرته ... وعندما وجد جهنم تحته تأكل ذلك المصنع هتف مع نفسه قائلا :-

- عاشت ايدك سيف ، لقد دمرتهم .

عندها احس بارتجاج قوي في طائرته ... كانت الطائرة ترتج من تحته ... فأخرجه ذلك الارتجاج المزعج من افكاره ... فتلاشت فرحته فجأة ... وازداد ميلان طائرته كثيرا ... فأحس بها تهوي الى الاسفل ... حيث اخذت تدور به وهي تهوي بسرعة كبيرة وكأنها مغزل بيد غزالة غير ماهرة .

كان عداد الارتفاع قد بدأ يؤشر الى انخفاض سريع في الارتفاع ولاح له مؤشر عداد السرعة يدور بسرعة كبيرة مبينا له زيادة غير أمينة في السرعة ... لقد بدا له الآن ان شيئا ما قد حدث لطائرته ... عندها جاءه صوت الملازم الاول الطيار خالد الموفق عبر جهاز (الآرتي) والذي استدار لتو دورته الكاملة بعد ان افرغ حمولة طائرته على الهدف جاءه ليخبره

بانطلاق صاروخ نحو طائرته ... ثم سمعه يصرخ :-

- سيف لقد اصبت طائرتك .

عندها جفل ... كان رد فعله سريعا ... تمسك بقوة بعصا القيادة الممدودة بين ساقيه ... اخذ يحركها الى كل الجهات ... حاول بكل مافي جسده من قوة لاعادة طائرته الى وضعها الافقي المستقيم ... ان يخرجها من هذه الدوامة القاتلة .

كان مؤشر عداد الارتفاع مازال يدور بسرعة مؤشرا تناقصا في الارتفاع

- كن ثابتاً ... وانتبه جيدا .

صوت ما انبثق من بين خلايا جسمه وهو يحثه الى التماسك ... الى ان يكون بطلا ... الى تفتيت حالة الخوف والقلق ... الى عدم الارتباك ... عندها سمع صوت قائد التشكيل يأتيه عبر جهاز (الآرتي) امرا :-

- سيف اترك الطائرة .

كان صوت المقدم طارق السعدوني ، قد حرك في نفسه تلك الروح - البطولية ... وذلك النسغ المتصاعد مع دمه ... وتلك الحمية العربية التي كان يمتاز بها كرفاقه الطيارين الذين استطاعوا لسنوات ان يحيلوا ارض العدو الى نار ملتهبة وسماء بلون الدخان ... اصرار وثقة بنفسه في الوصول بطائرته الى ارض الوطن سالما ... سوف لن يترك لاعدائه حرية التصرف بمصيره ... وحياته ... ومستقبله ..

قال مع نفسه :-

- يجب ان اصل بها الى ارض الوطن ... ساجاهد في ذلك ... لكن صوت قائد التشكيل اخرجه مرة اخرى من دوامة الحيرة والقلق واتخاذ القرار الصائب ... كان صوته هذه المرة آمرا وفيه قلق تبينه النقيب سيف من خلال

الكلمات التي جاءته عبر جهاز (الارتي) -

- سيف ، اترك الطائرة فورا .

كانت عصا القيادة قد اصبحت بين يديه غير طبيعية ... وكانت الطائرة قد استحالت الى ريشة طير تتلاعب في فضاء واسع ... اختلط لون السماء بلون الارض .. ففشيت عيناه الوان السماء ... الارض ... السماء ... الارض . كان ذهنه رغم كل ذلك متماسكا ، وتفكيره نشيطا .. فلا مجال لغير ذلك ياسيف الناصر - خاطب نفسه - هاهي الطائرة تهوي به وهي تدور حول محورها الطولي كالمغزل بين اصابع طفل صغير لايحسن الغزل ... عند ذلك اتخذ قراره بترك الطائرة والخروج منها سالما ..

كان دوران الطائرة قد اشتد حول محورها الطولي وبوضع شاقولي غير مسيطر عليه ... عندها سحب قدميه الى الخلف ،ان ترك الطائرة والخروج منها بسلام خير من ان يفقدك الوطن ياسيف، هكذا تحدد قراره النهائي ... وبنظرة خاطفة لما حوله تأكد من وضعية جلوسه الصحيحة على الكرسي ... مد يده اليمنى الى ضابطة احزمة الكرسي النسيجية المحيطة بجسمه في منطقة الحوض ... حركها عدة مرات ، عندها احس بالاحزمة تضغط على فخذيه ... تراجع بجذعه ورأسه الى الخلف ... كان كل شيء يجري بسرعة ... فالوقت يمر سريعا ... وعداد الارتفاع مازالت قراءاته في تناقص بيّن ... عندها مد يده الى العتلة ... تلك العتلة التي وبنترة واحدة سيجد نفسه يسبح في فضاء الله الواسع ... وبأصابع قوية وارادة صلبة وبشفتين رددتا اسم الله والوطن ، سحب العتلة ، وبلمحة بصر رأى غطاء المقصورة الزجاجي ينطلق عاليا بسرعة كبيرة عندها احس بجسمه يتقذف خارجا ... وشيئا ما يضغط على عموده الفقري وهو مازال يتقلب في فضاء ازرق ... مرة

اخرى ، وثالثة .

كانت الطائرة مازالت تهوى الى الارض ... بعد ذلك احس بجسده يستوي في الوضع العمودي ، وعيناه مازالتا ترنوان الى الاعلى ، لم ير المظلة ... كان الاوكسجين النقي قد وجد طريقه الى انفه المغطى بالماسك عبر الانبوب المطاطي من حافظة الاوكسجين الملتصقة على جسده . السماء مازالت فوق رأسه زرقاء صافية ... احس بقوة تجذب جسده الى الاعلى ... تنثره بقوة ... تسحب اضلاعه الى الاعلى ... كانت المظلة قد انفتحت للتو ... انتشرت كما ينتشر جناحي طائر كبير ، ساحبة جسده الى الاعلى ، وكأنها تريد ان تنبهه الى وجودها ... ان تقول له ها انذا فوقك ياسيف الناصر ...

لم يحس بسقوط الكرسي من تحته ... كان كل همه في تلك اللحظة هو انفتاح المظلة ... عندها ردد بامان بعد ان حرر نفسه من وجل ظللها قليلا - الحمد لله .

كان كل شيء قد هدأ فيه ... وراح عن اعصابه ماانتابهامن توتر قبل لحظات ... وهاهو مرمي في فضاء الله الواسع تحت رحمة هذه المظلة النسيجية وهي تحمله بخيوطها الرقيقة .

لقد انقطع الان كل اتصال مع تشكيله ، ولايعرف عنهم شيئا ... فهاهو الان غريب في فضاء العدو تحت رحمة هذه المظلة التي تسحب جسمه في هذا الفضاء الواسع ... عندها قرر ان يفعل شيئا ما ... قال مع نفسه ، يجب ان اصل الى ارض الوطن سالما ... مد بصره الى الاسفل ... الى الارض المعلق فوقها بمسافة بعيدة ... آه ... ندت منه تلك الآهة التي اخترقت جسده كله من ساقيه حتى شعر رأسه الذي مازالت الخوذة تحيط

به من كل الجهات لتحافظ عليه مما يحيط به .

رأى وهو معلق في الاعالي ، نهراً يمتد من تحته الى جهة اليسار منه ... عندها قرر ان يستجمع كل خلايا عقله في هذه اللحظة ... كان النهر يشق الارض الواسعة من تحته الى نصفين ... بدا له كحية تتلوى في ارض الله الواسعة ... عندها تيقن انه مازال في الفضاء المحيط بارض العدو ... اذن فمعركته قد بدأت الآن ... الآن بعد ان ترك الطائرة وهو فوق منطقة العدو ... فوق منطقة الاعداء ياصغيري الذي لم ار وجهك حتى ... اذن فدور والدك ايها الصغير الذي اثبت الى دنيا الله دون رؤية والدك ... هاهو والدك مصلوب تحت رحمة هذه المظلة وهي تلعب به في فضاء الاعداء ... هل كان مجيئك الى دنيا الله ياصغيري لتسمع ان والدك قد وقع اسيرا بيد الاعداء ... لكن لا ... لااريد ان اذل وأموت كجندي ثانٍ ، لايعرف له قبرا ... لا ... لااريد ان اقع في هذه الارض لاظل ثانيها فيها ، اتسمع اصوات الانفلاقات وازيز الاسلحة كمن يتيه في غابة لايعرف لها اول ولاآخر ... لا ... لا .. ابذل والدك ايها الصغير ؟ اترى النور ووالدك اسير ذليل ... لا ... لا.

كانت المظلة تطوف به وهي تسحبه الى حيث جهة النهر ... وكان قراره الوحيد هو ان يصل الى ارض الوطن سالما ... ان يجتاز هذه الانفلاقات التي تشتعل نارا من تحته ... و ... آه يانقيب ياسين كان الحق معك ... الموت ولاذل الاسر ... الشهادة ولا مذلة العيش بين ناس لايعرفون معنى للانسانية ... ولكن لا ... يجب ان لاينتهي دوري عند هذه اللحظة ... لن ادع اليأس يتملكني ، لن ادع العدو يتحكم بحياتي ... واذا كان هناك بارقة امل يانقيب ياسين ... يامن اعلنت شهادتك للآخرين ... او بصيص من

نور ، فيجب البحث عنه ... التمسك به ... فلا يمكن ان ندع اليأس يجد طريقه الينا يانقيب ياسين ...

ان الامل موجود دائما امامك ... عندما تنظر الى جهة ما ، حتما ستجد هناك بصيصا ما يدعوك اليه ... فلاتيأس ... لا يانقيب ياسين ... لا .

لم يرد عليه نقيب ياسين في ذلك الوقت ... نظر اليه فقط وسكت ... نعم ، لقد سكت وكان سكوته اجابة لجميع اسئلتي ... حكمة عرفتها من خلال تلك النظرة التي تفرسني بها ... هل يلومني ؟ ولكنه حتما كان يريد ان يخبرني ان قراره هذا لارجعة فيه ... فلا داعي ان تتعب نفسك بالحديث معي ... لقد مل السيد آمر القاعدة وآمر السرب من الحديث معي حول ذلك ... لست عنودا ولكنني واثقا ومؤمنا بما اقوله واعتقد فيه يانقيب سيف .

اذن فكر جيدا ... المظلة من فوقك والاعداء من تحتك يابن الناصر ... وابنك ينتظر عودتك ، وهو لم ير نور هذه الدنيا الا قبل يوم واحد ... يوم واحد فماذا انت فاعل له يا ابن الناصر ؟

لا ... سوف لن يذل ابوك ياصغيري ... سوف لن يذل .

لم تعد له من حيلة الا هذه الخيوط التي ترفع جسده وهي تطير به ... تطوف به في الفضاء الواسع الذي بدا له من خلال زجاج الخوذة الاخضر فضاء مسالما ... اين انت يارب ابراهيم ... يامن جعلت من النار بردا وسلاما .

كان في صوته الذي بدأ يتحرر من اسار شفتيه داخل ماسكة الاوكسجين نوع من المناجات التي ستفتح امامه طاقة الامل ... الامل الذي سيأتيه حتما مع الريح ... الريح يارب ابراهيم ... الريح يارب ابراهيم ...

كان الخدر مازال متعرشا بين اعصاب جسمه ... عندما حاول ان يستل يديه من بين هذا الخدر اللعين ... ان يفك اسارهما ... ان يدعهما تعملان ... فلا حيلة له سوى هذه الخيوط التي يريد ويرغب ... او ان يقع اسيرا ... حلان لاثالث لهما ... ان اصل الى ارض الوطن بهذه المظلة ... الى صغيري ... او ان اقع اسيرا ، فأعيش ذل الحياة .

مازالت الريح تدفع بالمظلة ... والحبال تحمل جسده المصلوب في هذا الفضاء ... وانت يانقيب سعدون العاكف ونظريتك في الشطرنج . لقد جاء دورها الآن ... الشطرنج لاغيره هو الذي ينمي المدارك ويمنح سرعة الاستجابة لاي فعل معاد ... دقة في العمل وتنشيط للفكر ... وصفاء للذهن ... فليكن فكري الآن في نشاطه ... وليصفُ ذهني فانا لاامتلك سواهما سلاحاً هذه اللحظة .

القفازان الجلديان بلونهما الاخضر يحيطان باصابع يديه ... يحفظانهما من هذا الصقيع الذي امتلأت به سماء الله الواسعة ... فلم يشعر بفضلهما باليرودة الا قليلا ، رغم ان جسمه قد اختض مرة واخرى بقشعريرة تملكته قبل قليل ... عندما حرك اصابع يديه ... فاستجابت للحركة ... حرك كفيه ، كان كل شيء فيهما سليما ، حمداً لله ، عندها وبنترة واحدة لذراعيه ، حررهما من ذلك الخدر اللعين ، رفعهما الى الاعلى ... كانت المظلة مازالت تحمله بخيوطها النسيجية ساحبة اياه في جوف الفضاء المترامي الاطراف ... مدهما الى الخيوط المتدلية فوق رأسه ، مسك بمجموعة منها بكفه من جهة اليسار ، ومسك بالكف الاخرى المجموعة الثانية من الخيوط ... وجد ان في مسك الخيوط بكلتا يديه راحة له ولصدره

وابطيه اللذين كانا يتوءان بالم خفيف جراء ضغط الاحزمة النسيجية للمظلة عليهما .

قال مع نفسه :- لاوقت للراحة الآن ... الان فقط يجب ان اقوم بتوجيه المظلة الى الجهة التي ستوصلني الى ارض الوطن . سوف لن ادعها تسحبني الى الجهة التي ترغب ... من هنا ستبدأ معركتي مع الريح ... ان ابقى حراً في وطني او ان اقع اسيرا بيد الاعداء ... يجب ان اظل متماسكا ، لن استغل كل قوتي ... يجب ان اصمد .

مد بصره الى الاسفل ... كان كل شيء قد توضح له بعد ان تحركت المظلة به بفعل تيار الهواء الذي دفعها الى جهة النهر ... ومازالت المسافة بينه وبين الارض واسعة جدا ... لم يعد يعرف كم مضى عليه من الوقت ... وكم هو ارتفاعه الان ... عندها حدد مع نفسه اليد التي يجب ان تعمل ... ان توجه اندفاع المظلة ... واي الخيوط التي تنسحب كان اتجاه جسمه الى الجنوب ... وجهه كله متجها الى الخليج ... هكذا حدد اتجاهه بعد ان عرف اتجاه امتداد شط العرب من خلال نهايته التي انفتحت داخل مساحة واسعة من المياه .

كانت المظلة تأخذه نحو اليمين ... تقطع به النهر بزاوية قائمة ... حيث ارض الفاو ... عندها بدأت يده اليمنى بالعمل ... اخذت تسحب مجموعة الخيوط الى الاسفل ... كان يريد للمظلة ان تميل قليلا الى اليمين كي يدفعها تيار الهواء القادم من اليسار ... يجب ان تقوده المظلة الى الجهة الثانية من شط العرب ... الى ارض الفاو ... ارض الوطن الحبيب ... الى طفله الذي لم يره لحد الآن ... ان يبقى حيا ... حيا ياسيف الناصر .

كان الالم يتصاعد مع كل نترة في يده اليمنى ... عندها قال مع

نفسه ـ سوف لن تضيع الساعات التي قضيتها في قاعة الالعاب هباءً ... لقد جاء دورها الان ... لقد نمت عضلات هذين الذراعين اللذين سيقودان المظلة الى ارض الوطن ... فليذهب الالم هذه الساعة الى الجحيم مادامت عضلات ذراعي قد نمت بصورة جيدة .

سأعود اليك يا طفلي الصغير ... وسأحكي لك عن هذا الالم اللذيذ الذي بدأ يشل كل حركة في يدي ... سأحكي لك عن صقر خانه ذلك الجسم الحديدي الذي كان يطير به فتركه معلقا بين الارض والسماء .. لكنه لم يته . كان قد دفع بجميع اجهزة جسمه رغم البرودة التي احاطت به الى العمل ... كل شيء يجب ان يعمل فيك ياسيف الناصر ... دماغك ، عضلات جسمك ... يديك ... صدرك ... كل شيء ... يجب ان تصل الى ارض الوطن سالما لتعود مرة اخرى للطيران ... عليك ان تقلل المسافة بينك وبين طفلك الصغير الذي لم تره ولم يرك بعد ... يجب ان تعود للطيران مرة اخرى ... للواجبات التي تنتظرك ... للمهمات الكبرى في عمق الاراضي الايرانية بالذات ... سوف لن تخذل طفلك يا ابن الناصر . لا ... وهذه الحبيبة التي تنشر جناحيها فوق راسك ، هذه المظلة التي نسيجها ارق من جناحي فراشة ، سوف لن تخذلك ، ستقودك حتما الى ارض الوطن ... لانها هي الاخرى قد تنفست هواء العراق الحبيب .. كان صوته وهو يتحدث مع نفسه ، ينتشر بين خلايا جسمه ... احس به يصعد الى خيوط المظلة التي مازالت تظلله بفيئها اللذيذ .. ـ ومازالت ذراعه تسحب خيوطها محاولة استدراجها الى دفعه نحو ارض الوطن ..

× × × × × × × × × × × × × × × × × ×

× × × × × × × × × × × × × × × × ×

٣

مازالت المظلة معلقة في الهواء ، وانا معلق بخيوطها النسيجية الرفيعة ... وهي تطوف بي في الفضاء الواسع ، وتسحب جسدي الى ارض الوطن .

اصبحت الآن على ارتفاع يساعدني على تبين ملامح اكثر الموجودات المزروعة على هذه الارض الملحية ...

لقد اندفعت بي المظلة بسرعة بفعل الريح ، وبتوجيهي لها فعبرت شط العرب .

كنت ارى بعض فوهات نيران مفتوحة باتجاهي ... فكانت اي قذيفة او اطلاقة لسلاح خفيف مصوبة نحوي بدقة يمكنها ان تقتلني ... او ان ـ تمزق المظلة ... تفجر قبة الهواء التي فوق راسي كالبالون عند انفجاره ، او ان تقطع خيوطها كسكين حادة ، فاسقط جثة هامدة لاحياة فيها لاتبض ياصغيري ... وبلا امل اسقط كثيرك صلد ماتت فيه حرارته الآن اصبحت فوق قطعاتنا بالضبط ... سوف لن اموت بعد الآن ـ هكذا اكدت لنفسي ـ

باية طلقة فارسية غادرة ... لقد اجتزت مجال الموت المجاني ... موت الذل ... الموت الذي بين السماء والارض ...

هل هي بطولة ياصغيري عندما يموت الانسان وهو معلق بخيوط مظلة منتفخة بين السماء والارض ؟ ماالذي سيكتب على شاهدة قبره ... ؟ يكتب ، مات بين الارض والسماء ،ام يكتب مات وهو معلق بخيوط مظلة صغيرة لكنها قوية ؟ ماذا سيكتب على شاهدة قبرك ياسيف الناصر ان كان سيضم جسدك قبرا ؟ وفي اي ارض ؟ ربي لك الحمد .

هكذا وجدت الاسئلة طريقا الى تفكيري الذي مازلت مسيطرا عليه كسيطرتي على هذه المظلة الصغيرة ... وهاانا اجتاز جدران النيران المتعددة ... افواه من النيران ... اجتزت منطقة الخطر ... والمظلة تسحبني الى الارض ... تنزل بي ... فارى المسافة بيني وبين الارض بدات تنقص شيئا فشيئا ... حيث بدت الارض من تحتي كلوحة كبيرة مزينة بنقوش غير متجانسة ... انها منضدة رمل تتحرك عليها هياكل لاجسام متنوعة وكثيرة ... وهاانا امح تلك العجلة العسكرية ... انها عجلة عراقية ... هي نفسها عجلة (الوار) وهي تشق طريقها بسرعة جنونية ... فانتابني خوف من انقلابها ... تساءلت : هل جن سائقها ؟ وبخط متعرج كان السائق يحاول ابعاد عجلته من انفلاقات قنابل الاعداء وهاوناتهم ... كانت هي متجهة صوب شط العرب ... وكان كل شيء قد تراءى لي وانا معلق باطراف هذه الخيوط النسيجية ... حيث مازلت تحت رحمة هذه المظلة التي سحبتني من منطقة الاعداء الى منطقة قطعاتنا العراقية ... وهاهي تطوف بي وانا معلق بها كبندول ساعة جدارية ، وكانها تريد ان تريني مايدور على هذه الارض .

كان كل شيء قد توضح امام عيني ... عندها تمنيت لو كنت املك

سينمائية لصورت هذا الجحيم الذي يصنعه العراقيون بقوات العدو المهزومة ... هذه النيران التي تاكل كل شيء ... وهذا الاندفاع العراقي نحو شط العرب ... ولكن ، آه ... نفدت مني هذه الاهة دون وعي مني ... فقد عاد الالم مرة اخرى الي ... وهاهو يقيد بعضا من حركة ذراعي ... فما لكاد كنت استطيع جذب مجموعة الخيوط التي اسيطر من خلالها على توجيه المظلة ... كنت قد استطعت من رفع الزجاجة ذات اللون الاخضر الواقية للعينين وابقيت الزجاجة الاخرى الشفافة كي استطيع رؤية الاشياء بوضوح جيد .

لم تكن رحلتي وانا معلق باطراف خيوط المظلة ، رحلة سعيدة ... رغم مادا خلني من شعور بالفرح وانا اعبر شط العرب سالما ... وهذا لم يكن في حساباتي ... رغم ان احتمال ضرب اية طائرة حربية هو احتمال قائم في كل حرب خاصة حربنا العادلة ضد الفرس المعتدين الذين مازالوا مصرين على عدوانهم اللئيم .

مازال هناك بعض الالم الذي يغوص بين فقرات ظهري ، وبين اضلعي ... فالشد العضلي في هذه الاماكن اخذ ينغز حادا كالسكين ...

كان كل شيء من تحتي على الارض يتحرك ... ياالهي ، تساءلت : كيف استطعت التخلص من هذه الانفلاقات الجوية ، ومن صواريخ الراجمات والاسلحة الخفيفة المعادية ؟

لم يكن العلم الذي لاح لي من بعيد ، وهو يرفرف بيد جندي عراقي سوى العلم العراقي نفسه ... عندها هفا قلبي له ... واحسست بفرحة طاغية تجتاحني ... شيء لذيذ يسري في كياني ... الدم الذي تجمد في نهايات اطراف قدمي بدأ يتحرك وقد انتشى براحة احسست بها تغمر عروق الدم

وهي تحتفل بمروره فيها .

كان كل شيء قد بدا لي على الارض يهلل فرحا ... تلك المدافع العراقية وهي تطلق نيرانها ، وكانها فرحة بعودتي ... وهاهم جنودنا الابطال يلوحون لي باكفهم ، ويرفعون اصابعهم شارة للنصر العراقي ... الذي اراه يتقدم نحو شط العرب ... وتلك العجلة العسكرية وهي تنطلق بسرعة باتجاهي وكانها تعبر عن فرحتها بسلامة عودتي الى ارض الوطن ... كانت تريد ان تصل قبلي الى حيث المنطقة التي تاكد سائقها بانني سوف اهبط عليها .

اخذت المسافة تقصر بيني وبين الارض ... افلتّ يدي من خيوط المظلة ... قلت ، لاداعي لذلك بعد الآن ... ها انا اصل الى مواضع قطعاتنا ... الى ارض الوطن سالما والحمدلله ...

اعود اليها وكانني عائد من رحلة بعد فراق طويل ...

كانت الهواجس تعبر في رأسي وصدري ... امتزاج بين اللهفة والفرح والوجل ... كيف لدقات القلب ان تستكين وهاهي الارض تتقدم نحوي ... تساءلت مع نفسي وانا ادقق النظر في الارض التي تحتي ... من منا يتقدم نحو صاحبه ... انا ام هي ؟ فجائني الجواب ، لابهم ان كنت انا الذي اتقدم نحوها ام هي عاشقان يركضان الواحد نحو الآخر في حقل مزروع بالورد والازهار فنحن الاثنان نتحرك الى بعضنا ... حبيب وحبيبته .

كنت احس بها تقبل نحوي ... تفتح ذراعيها ... لتحتضنني كلانا يسعى لاختصار المسافة والزمن ... وانت ياصغيري تستقبلني راكضا ... بعينين ضاحكتين ، وبقلب فرح ... ستلتقي ياصغيري حتما ... لقد خرج والدك من موت محقق سالما ... وهاهو العلم العراقي يخفق من بعيد ، حيث

يد عراقية سمراء تلوح لي به ... احس به يناديني ... هاانا اسمع صوت حفقاته تخاطبني بفرحة تخفق مع كل حركة من يد ذلك الجندي البطل .

العجلة تقف في مكان حدد سقوطي فيه ... هبط منها عسكريان ، اصبحت المسافة بيني وبين الارض قليلة جدا ... اطراف سيطانات المدافع تلتمع بوميض خاطف يتبعه دخان ... جنود يتحركون حولها بكل نشاط ... عربات عسكرية كثيرة ومتنوعة في وضع انفتاح وهي تتقدم صوب شط العرب ... حرائق تلتهم تجمعات عسكرية واليات على جوانب الشط ... دخان اسود وكثيف يتصاعد نحو السماء ... خطفت طائرة من فوق المظلة ... تعرفت عليها ... كانت احدى طائراتنا ومن النوع الذي اطير عليه ، وكان اتجاهها شط العرب ... ذلك الشط الذي عبرته قبل قليل ... كان قطعة نار ... جهنم مفتوحة الابواب للذين ارادوا عبوره ... رشقة من صواريخ مرقت امام ناظري ... كانت هناك طائرة سمتية تدفع بها الى جهة الشط وهي تحوم بالقرب مني ...

مازال العسكري الذي ترجل من عجلته مادا بعنقه مشرئبا الى حيث قبة الهواء التي اتدلى بخيوطها .

المسافة تقل بيني وبين الارض التي تقترب مني ... والعلم العراقي مازال يخفق وساريته القصيرة تتحرك يمينا وشمالا بيد عراقية ... عندها مددت يدي الى حيث قفل احزمة المظلة الموجودة بالقرب من صدري ... سحبت العتلة الصغيرة لاهيأه للعمل عند تماس قدمي بالارض ..

تهيأة كليا لاستقبال الارض ... الارض التي تفوح عطرا عراقيا وبهاء ... و ... هوب ... ارتج قلبي فرحا ... غاصت قدماي في ارض بللتها مياه عراقية ... المظلة تسحبني الى الخلف ... كان فرحي اكبر من قوة سحبها

لي ... وكان العسكري وهو برتبة ملازم قد هرول باتجاهي ... اما الآخر فقد ركض مسرعا وراء المظلة التي انسحبت بفعل تيار الهواء عندما تخلصت من احزمتها ..

استقبلني الضابط بوجه متهلل بالفرحة والانشراح ... خاطبني وكأنه يحثني الى شيء ما ، قال :-

- سيدي هيا اركض ... اسرع ياسيدي -

لم اجبه ... نهضت من مكاني ... حركت جسدي ... لويت ظهري الى الجانبين ... كان هو يصرخ بي :- سيدي هيا اسرع ...

كان كل شيء في جسمي سليما ... طقطقت فقرات ظهري ... حررت انفي من الماسك ... جرني الضابط من يدي ... سيدي هيا اصرخ بي ... نحن مرصودون ... تحركت ... اخذ هو يجرني من يدي ... صوت انفجار دوى في اذني ... كانت قذيفة معادية قد سقطت على العجلة العسكرية ...شبت النيران فيها ...

وكانت المسافة التي تفصلنا عنها قليلة جداً .. دفعني الضابط إلى الارض وتمدد هو الآخر بالقرب مني

هرول الجندي نحونا ... امتد قريبا منا ... صاح سلامات سيدي ... قال لي الضابط :-

- سيدي ، يجب ان نسرع ... الهرولة ستفيدنا .. .

ان هذه المنطقة مرصودة من قبل العدو ... لقد طهرناها قبل لحظات ... يجب ان اصل بك الى مواقعنا الخلفية سالما ..

قال الجندي السائق :-

- سيدي ، العجلة فداء لك ... المهم سلامتك .

٣

كانت المسافة التي قطعناها هرولة بين المنطقة التي هبطت فيها ومقر اللواء اكثر من كيلو متر واحد ... لم احس بالتعب ... دقات قلبي تزداد ليس من التعب ، بل مما احس به من فرح وانا ادوس بقدمي هذه الارض الطيبة ... الآن انا بين اهلي وعلى ارضي ... كان الفرح طاغيا ... وهاهو الآن يفرش ظله علي ... فلا خوف عليه بعد اليوم ... سيعود مرة اخرى اليهم بعد ان توشم بالنصر والحياة سينزل غضبه عليهم ... كل شيء في جسمي سليم مائة في المائة .

قال لي طبيب الوحدة الميدانية مؤكداً :-

- كلا ... يجب اخلاؤك الى المستشفى العسكري ... وهناك سيقررون فيما اذا كنت صالحا للطيران مرة اخرى ام لا .

قلت له وانا اقوم بحركات رياضية امام بصره :-

- انظر ، كل شيء في سليم ... لاينقصني سوى وسيلة للوصول بها الى القاعدة ... يجب ان اعود الى سربي .

نعم ـ . ـ ت . ـ فسي ـ كل شيء سليم مادمت قد وصلت الى ارض الوطن بسلام . ان ـ ن الضابط مازال بانتظاري ، والسائق جالسا خلف مقود احدى ، جلا ـ التي جلبها بعد احتراق عجلته .

قال لي وهو يفتح باب العجلة :ـ

ـ سيدي ، لقد اوكل لي اخلاك الى المقر الخلفي للفرقة ... ومن هناك ستقلك احدى الطائرات السمتية الى قاعدتك ..

قلت له وانا افسح له مجالا للجلوس بالقرب مني :ـ

ـ شكرا جزيلا ... انا مدين لكم .

صاح العسكري السائق منتشيا :ـ

ـ سيدي ، حياتك اهم .

تحركت العجلة بنا ... كان القصف المدفعي على اشده ، والشمس تتوسط سماء العراق الصافية ...

قال الضابط :ـ

ـ انها مدافعنا هي التي تضرب ... وقد تقدمت قطعاتنا الى الامام ... سنصل الى شط العرب هذا اليوم حتما .

قلت له :ـ

ـ لقد رايت تقدمكم وانا معلق بخيوط المظلة .

قال السائق :ـ

ـ الله يساعدك ياسيدي ... لقد نجوت . الحمد لله على سلامتك .

قلت له وانا ارى المظلة مكدسة في المقعد الأمامي للعجلة :ـ

ـ ماهذا ، هل جلبتها معك ؟

ومن بين ابتسامة شفتيه المنتشيتين اجاب بفرح :ـ

ـ نعم سيدي ، كنت اركض معكم وانا احملها على رأسي . لم انتبه له كان يركض معنا ، ولم اكن اعرف انه يحملها فوق راسه .

سألته :ـ

ـ هل تريد الاحتفاظ بها ؟

اجابني باندهاش :ـ

ـ كيف ياسيدي ؟

قلت له :ـ

ـ اذا هي لك هدية مني ... احتفظ بها ذكرى هذه المناسبة . شكرني وهو ينظر الى الطريق الذي اصبح امامنا معبدا :ـ

ـ الله يحفظك ياسيدي شكرا لك .

كانت الخوذة البيضاء قابعة في حضني ، وقد احتوت على الماسك والقفازات الجلدية الخضراء .

اخرجت منها الماسك والقفازين ... حملتها بين يدي كمن يحمل شيئا زجاجيا يخاف عليه من الكسر ... وبين حركة ارتجاج العجلة وهي تسير على اسفلت الشارع ، سلمتها الى الضابط الملازم عبدالله .

قلت له وانا اضعها بين يديه :ـ

ـ ارجو ان تقبلها هدية بهذه المناسبة ... وساحتفظ انا بالماسك والقفازين .

قال بتردد :ـ

ـ سيدي ، وانت ؟

اجبته :ـ

ـ هذا تقليد متبع عندنا في القوة الجوية ، للطيار الحق الاحتفاظ بمعدات الطيران حين تركه للـ[illegible]

وانا لااريد ان اذهب دون ان اشرك لكم مايذكركم بهذه المناسبة التي جمعتنا .

اجابني وهو يضع الخوذة على رأسه :-

- شكرا سيدي .

× × × × × × × × × × × ×

اشهد أن ....

«خالد الموفق»

١٧

كانت فرحتي كبيرة وانا اغلق على الغطاء الزجاجي لمقصورة الطائرة ... حيث احسست وقتها وكأنني اطير لاول مرة ... حتى الاجهزة والعدادات والاضواء بالوانها المتعددة بدت وكأني اراها للمرة الاولى .

كان هذا الاحساس الطاغي بالفرح قد تملكني كلية ... وعندما بدأت بتشغيل محرك الطائرة ... بدأ القلق يتسرب الى كياني شيئا فشيئا ، وامتزج مع هذا الفرح الطفولي فتشربت خلايا جسمي بهذين الاحساسين ... قلت مع نفسي ، لاباس ياخالد ، انها المرة الاولى التي تقوم بها بتنفيذ واجب في عمق الاراضي الايرانية .

من منا ـ فكرت مع نفسي ـ من لايفزو نفسه مثل هذا القلق في وقت يشعر فيه بالسعادة والفرح ؟

القلق هذه الحالة الشعورية الانسانية ، يمكنها ان تأتي كرد فعل للسعادة ، او الخوف على هذه السعادة نفسها ... الخوف عليها من شيء مجهول ، قوى اخرى غير مرئية ، او غير معلومة تريد تبديدها أو قتلها قبل ان تصل الى ذروتها ، هذا القلق هو الخوف على عدم وصول السعادة الى

ذروتها ، الى مبتغاها ... وهاانا امارس الاحساسين سوية محشورا في هذه المقصورة بين اضوائها الحمراء والصفراء والخضراء واجهزتها التي اخذت تعمل بلا صوت ... هذه المقصورة التي اجد فيها حبي للسماء الزرقاء ، للفضاء الواسع ، للمطلق ... هذا الحب الذي نما في نفسي منذ ان شاهدت اول طائرة في سماء مدينتنا عندما كنت صغيرا ... وقتها ارتفعت يدي مع ايدي زملائي الصغار محيين قائدها الذي كان هو الآخر يحيينا... كانت الطائرة سمتية وقد رغب قائدها ان يرينا نفسه فطار على حينا بارتفاع منخفض وعندما سمعنا دوي محركها هرعنا مسرعين الى سطوح منازلنا ، عندها رأيناه كان يلوح بيده لنا ... وقتها قررت ان اكون طيارا . وعندما نزلت من السطح اسرعت الى دفاتري المدرسية ، اخذت منها ورقة وبدأت بصنع طائرة ورقية صغيرة ، تحايلت على والدتي واخذت منها (بكرة) الخيوط الوحيدة التي تمتلكها ، واسرعت الى سطح البيت وهناك بدأت بتطيير اول طائرة خاصة بي ... دفعت بالخيط اليها .. فاندفعت في الفضاء جارة ذيلها الورقي الطويل .

كانت سعادتي كبيرة بها ، واتسع الفرح في نفسي ، وعندما عاد والدي من العمل حدثته عن الطائرة السمتية وطائرها الذي حيانا ، وعن طائرتي الورقية التي طارت في الهواء ... كان هو يضحك ... عندها قلت له :

ـ ساكون طيارا .

قال لي : ولكنك صغير ياوادي ؟

قلت لي : عندما اكبر ساكون طيارا ، ساطير بالطائرة واحلق فوق بيتنا ، ساسلم عليكم .

ضحك والدي كثيرا ... ضحك من افكاري ، وتركني مستلقيا على فراشي

محتضنا طائرتي الورقية ، احلم بتلويح يدي وانا اطير على سطح دارنا .

في الصباح نهضت مبكرا ... وقبل ان اذهب الى المدرسة ، صعدت الى سطح الدار ، كان الهواء يتحرك بسرعة ... سررت كثيرا لذلك ... قلت اذن ساطير عاليا ساحلق في هذه السماء ... في هذا الهواء السريع ... سأصل بها الى الشمس ... ولكن لا ... انها حارة ... وضحكت مع نفسي وعندما ارسلتها الى الهواء ومددت لها الخيط ، اندفعت محلقة في السماء ...

كل شيء كان من حولي ازرق فاتحاً ... هذا اللون السماوي الذي احببته كثيرا كنت اجد فيه صفاء للنفس وراحة للجسد والاعصاب .

ها أنا اقود الطائرة الرابعة ضمن التشكيل الذي يقوده المقدم الطيار طارق السعدوني ، والذي يحمل الاسم الرمزي (صليل) وقد اصبح لنا في الجو اكثر من خمس دقائق ، ومازال نظري يتنقل بين لوحة العدادات التي امامي والاجهزة الموجودة في المقصورة وبين الفضاء المفتوح امامي حيث اعضاء التشكيل .

بان الارتباك الذي ولده القلق ، وقد بدا على حركة يدي وهي تعالج بعض الاجهزة داخل المقصورة ... ولكن لا ، حدثت نفسي ، يجب ان اكون منتبها بصورة جيدة لكل عمل اقوم به ... يجب ان اثبت للجميع انني لم اكن قلقا ولامرتبكا ، ولن ادع القلق يستولي على نفسي ... فالوجيب الذي احسه في قلبي يجب ان يختفي ، لتبقى السعادة والفرحة هما الطاغيان على نفسي وانا جالس في هذه المقصورة الصغيرة في فضاء الله الواسع ... اسبح في هذه الزرقة السماوية الشفافة .

كان المقدم الطيار طارق السعدوني ، يقودنا الى داخل فضاء العمق الايراني ورغم برودة الجو خارج المقصورة وداخلها ، فقد بدأ العرق

ينصب من جميع مسامات جسمي ... يزداد دخل حماما بناريا حارا ... حتى اكف يدي تعرقت داخل القفازات الجلدية ... انزعجت لذلك ، وانا احاول ان ابرر كل هذا مما داخلني من شعور بالقلق لم استطع السيطرة ـ عليه ، او تبديده لحد الآن ، بعد ان صار لنا في الجو اكثر من خمس عشرة دقيقة منذ ان انطلقنا محلقين من القاعدة الجوية وتركنا خلفنا رفاقنا الضباط والمراتب وهم ينتظرون عودتنا بسلام .

قال لي النقيب سيف الناصر وهو يهمس في اذني وكأنه لايريدان يسمعه احد غيري ، بعد ان انطلقت العجلة العسكرية من موقفها امام غرفة الحركات الى خط الطيران :ـ

ـ خالد ، اعرف ان هذه المرة الاولى التي تطير بها داخل العمق الايراني ، فكن شجاعا ، ولاتخف او تقلق ...

قلت له وانا اشعر بفرح طاغ :ـ

ـ شكرا سيدي ـ انا لست بخائف .

فقال :ـ

ـ ليكن طيرانك هادئا ، لاترتبك ، وانظر دائما الى طائراتنا ، لاتدعها تغيب عن بصرك ، كن بتماس دائم معنا .

وجدت في حديثه دافعاً لي لاطرد مني هذا القلق الذي غزا كياني كله .

كان هو يطائرته امامي من جهة اليسار ، فكنت دائم النظر اليها كي لاتغيب عن بصري ، فافقد الاتصال البصري مع التشكيل خاصة ونحن بعد لحظات سندخل الفضاء الايراني ، فيبدأ الصمت اللاسلكي بيننا وينقطع كل حديث .

كان التشكيل الآخر ، بقيادة الرائد الطيار فاضل المهدي ، قد سبقنا

في وقت الاقلاع وكانت وجهته القطعات المعادية في شرق شط العرب ... اما نحن فكانت مهمتنا تدمير احد مصانع الزوارق النهرية في العمق الايراني ...

قبل ثواني بالضبط ، دخلنا الاراضي الايرانية ... وبدأت طائراتنا تحلق في سماء الاعداء ... فيما راح بصري يتنقل بين طائرات التشكيل واجهزة وعدادات الطائرة في المقصورة المحيطة بي وانا محشور في كرسيها الذي كبل جسمي من كل جانب ... كان كل شيء يجري بسلام ... حتى انني عندما طابقت قراءات العدادات مع ماثبته من ارقام على خارطتي الصغيرة التي وضعتها تحت غطاء جيب البدلة الشفاف ، وجدت ان القراءات صحيحة ، وانني وبقية التشكيل الذي يقوده المقدم الطيار طارق السعدوني نطير في المسار الصحيح ، وبعد دقائق ستكون فوق الهدف مباشرة ، عندها ستفتح ابواب جهنم في وجوه هؤلاء الاوغاد .

لم اكن انظر الى من حولي الا نادرا ، كان بصري موزعا بين الطائرات التي تطير امامي وبين لوحة العدادات ... فكانت حالة التنقل هذه قد ولدت لدى بعض الملل فيما تبدد بعض ذلك القلق القاتل ، وظل قلبي يسرع بدقاته ونحن نقترب من منطقة الهدف .

لقد تسرب هذا الملل كما يتسرب الماء تحت كومة من الثين اليابس ... هذا الملل الذي احدثه ذلك التكرار المزعج في النظر بين طائرات التشكيل ولوحة العدادات الامامية .

حاولت اكثر من مرة ان ادير رأسي الى الجانبين ، لأرى الفضاء من حولي ولابد هذا الملل الذي احسسته ، فلم استطع ، حيث ظلت عيناي تتنقل مابين الطائرات التي امامي ومافي داخل المقصورة من اجهزة

وعدادات ... كان كل همي ان اظل بتماس بصري مع اعضاء التشكيل ... سألت نفسي ، هل هو الخوف ؟ قلت لا ... لايمكن ان ادع الخوف يتملكني ... انني مازلت احس بسعادة كبيرة بهذا الواجب ... ربما هو القلق ، القلق من كونه الواجب الاول لي .. ؟ ربما سألت نفسي ، وعندما وجدت ان لاجواب شاف لذلك ، قلت وكأني اقنع نفسي ، انا بين ثلاثة من امهر الطيارين واشجعهم ، وهم يمتلكون الخبرة المتراكمة من مجموع الواجبات التي نفذوها داخل العمق الايراني ...

ثم بصوت عال رددت :- لاتقلق ياخالد ، امض وتوكل على الله .

هذه هي الجملة التي رددها الطيار طارق السعدوني عندما كنا في غرفة الحركات .

فعندما سألني ، فيما اذا كنت خائفا ، اجبته بالنفي ، لكن آمر القاعدة الذي انتهى قبل قليل من شرح تفاصيل المهمة وارانا مسالك الدخول والخروج الى منطقة الهدف على الخارطة قال :-

- ملازم اول خالد طيار جيد ، وهو لايخاف ...ولكنه قلق كما اعتقد اجبته قائلا :-

- شكرا لك ياسيدي .. سيتبدد هذا القلق عندما اغلق غطاء المقصورة وابدأ بتشغيل محرك الطائرة .

فقال المقدم الطيار طارق :-

- القلق حالة نفسية مشروعة عند الانسان اذا كان مسيطرا عليها ، اما اذا لم يستطع الانسان من ضبطها والسيطرة عليها فهي حالة غير صحيحة ومدمرة وعندها سيتولد الخوف وارجو الا يكون قلقك من هذا النوع .

اجبته وانا اود لو اهرب من هذا الموقف الذي بدأت فيه ملامح وجهي

تشي بما في داخلي من قلق :-

- ربما اكون معذورا ياسيدي ، ولكنني اشعر بالفرح والسعادة وانا اطير معكم لانفذ واجبا مهما في العمق الايراني .

عندها ضحك آمر السرب وقال :-

- اذن ، امض وتوكل على الله .

وعندما هممنا بالخروج ، سمعت آمر القاعدة يقول :-

- ارجو ان تكون اصابتك دقيقة ، سأنتظر ذلك منك .

لم يتبدد القلق مني عندما اغلقت غطاء المقصورة ، ولابعد ان شغلت محرك الطائرة ... فما زال هذا القلق اللعين ينخر في فكري ، ويعيق حركتي ، فارتبك نظري اكثر من مرة في تنقله بين لوحة العدادات والطائرات التي امامي ، فراحت عيناي تتنقلان بسرعة فوجدت ان اجهزة القياس امامي قد تشوهت صورتها ، عندها انتبهت لنفسي اغمضت عيني لثوان لأريح نظرهما ، وعندما فتحتهما ، وجدت انني ابتعدت قليلا عن بقية طائرات التشكيل ... فمددت يدي الى ضابطة الوقود ودفعتها الى الامام لالحق بهم ، ولاظل بتماس معهم .

لم يبق من وقت وصولنا الى الهدف الا دقائق معدودة ، وكان ارتفاعنا امينا ... وهذا ماأكده لي النقيب الطيار ياسين عبد الرحمن عندما وجدني قلقا ، ونحن ننزل من العجلة في خط الطيران حيث كانت الطائرات بانتظارنا قال :-

- ملازم اول خالد ، لاتخف ولاتقلق ، ستطير بارتفاع أمين ، ولكنني اطلب منك ان تنتبه جيدا عندما تنقض على الهدف وتخرج منه ... اسحب طائرتك الى الاعلى مباشرة ... كنت احس وقتها بأنني اصبحت موضع اهتمام

الجميع ، هل احسوا بقلقي وانا ادخل غرفة الحركات ؟ ربما فضح وجهي مافي نفسي من قلق امامهم .

كنت احس بالوقت يمر بطيئا ، فهذه الدقائق القليلة قد اصبحت دهرا بكامله ... وانا اوزع بصري بين طائرات التشكيل وبين لوحة العدادات ... وعلى حين غفلة ، انتبهت الى ان الطائرات التي امامي تهبط بسرعة عالية ، اذن فقد وصلنا منطقة الهدف ... فاحسست بضربات قلبي تتسارع ، والدم ينزل الى اسفل قدمي ، دفعت بعصا القيادة الى الامام ... فمالت مقدمتها الى الاسفل ، عندها سمعت صوت المقدم الطيار طارق السعدوني يصيح فرحا :- (ريليز) وشبت النيران على الارض ، وبدأت الانفجارات ... فيما ملأ الدخان الفضاء المحيط بالمكان

كنت مشدودا ببصري الى الطائرات التي امامي وهي تنقض بكل سرعتها على الهدف ، وهاهو النقيب الطيار ياسين عبد الرحمن بدأ يتخلص من حمولة طائرته ، فرأيت قنابره تنزل بسرعة عالية الواحدة بعد الاخرى كطيور ابابيل فتشعل الحرائق في قسم من المصنع .

كنت انظر الى هذا الدمار الكبير الذي صنعه هذان الطياران ... فيما راح الطيار الثالث النقيب سيف الناصر ينقض هو الآخر على ركن آخر من اركان المصنع ليلقي بحممه عليه ... عندها انتبهت الى انني لم اكن مستعدا بصورة جيدة الى عملية القصف ، كان بصري ينقل لي هذا العقاب الكبير بالعدو ، فتناسيت واجبي ، وبسرعة ، وبقلق بدا على حركة يدي ، وبقلب تسارعت دقاته ، نظرت الى جهاز التسديد الذي امامي ... وبينما انا اعالج الهدف على الجهاز سمعت صوت النقيب الطيار سيف يردد بفرح (ريليز) اذن جاء دوري و ... صرخت بفرح وكأنني اغسل عن نفسي كل ذلك القلق الذي تلبسها : (ريليز) وسحبت عصا القيادة الى جسمي ... فأحسست بالطائرة

- بي ... سب اطير في فضاء الله الواسع ... وكانت السماء من امامي زرقاء صافية ... وفيما انا ادير بطائرتي الى ارض الوطن ، رأيت صاروخا ينطلق الى طائرة النقيب ياسين ... جفلت ... - اختض جسمي كله ... وبدون وعي مني نهضت من الكرسي وانا اصرخ :- صاروخ ... صاروخ ، لكنني وجدت نفسي مقيدا الى ذلك الكرسي ... عندها صرخت ثانية ياسين ... صاروخ ... ياسين وتداخل صوتي مع صوت النقيب سيف الناصر الذي أخذ يصرخ باعلى صوته :- ياسين ... اترك الطائرة ... ياسـ

× × — — × × — — × × — — × ×

٢

- ياسين ، هذا أمر ، اترك الطائرة !

كان صوت المقدم الطيار طارق السعدوني يتردد عبر أجهزة (الآرتي) وهو يأمر النقيب الطيار ياسين عبد الرحمن - الذي بدأت طائرته تحترق من مؤخرتها في الجو . وراحت تنفث دخاناً اسود ، فيما كانت تتقلب في الفضاء - ان يترك الطائرة

لم يجب النقيب الطيار ياسين باية كلمة ، ومازالت الطائرة تتقلب في الجو ... فيما كان الفضاء الذي تطير فيه خاليا من اية طائرة معادية .. ثلاث طائرات فقط والرابعة تحترق متقلبة كطير مجروح ... وانا احاول ان ازيد من ارتفاعي وسرعة طائرتي .

بعد لحظات سمعت صوته يعبر أجهزة (الآرتي) بكل ثبات واتزان :-

- سيدي ساقودها الى الحدود ... لن اتركها هنا .

لقد تبدد كل شعور في نفسي ، لاقلق ، لاملل ، ولاسعادة حتى ... والطائرة امامي تتقلب وهي محترقة ، وقد فقدت بعضا من ارتفاعها وسرعتها ...

وكان صوته يأتينا وهو يصيح :-

- سأوصلها الى الحدود ... سوف لن اتركها ياسيدي .

ماالذي يريده هذا الطيار الشجاع من طائرة محترقة ... حتما ان جميع اجهزتها الآن غير صالحة للعمل ... حتى انه في كل مرة يريد ان يعدل من وضعها تعود الى عدم استقرارها في الجو ... كمن يجذف عكس التيار ... ماالذي يفكر به هذه اللحظة ؟

قبل لحظات سمعت صوته عبر جهاز (الآرتي) محملا بكل السعادة والثقة وهو يقول :- (ريليز) ... عندها بدأت قنابره بالسقوط الواحدة بعد الاخرى ... كان قنابر اصاصاهرا ... بحيث ترك منشآت المصنع تتفجر احشاؤها كان بركانا هائلا بدأ بالانفجار ... وبعدها رأيته يسحب طائرته الى الاعلى متسلقا في الفضاء الذي انتهكناه ... كان حتما فرحا وسعيداً بما يقوم به ... وكنت احسده على هذه الثقة الكبيرة بالنفس ، ودقة التصويب ... فهو طيار شجاع ويطل لايهاب الموت ، قال :-

- اما الشهادة او العودة الى الوطن سالما .

لم يخف من بطش الاعداء لو وقع اسيرا بينهم ... لكنه لايحب العيش ذليلا ... كان يؤكد على ذلك دائما امام رفاقه الطيارين وكأنه يحثهم الى اتخاذ موقف كموقفه .

في صباح هذا اليوم ، اتصلت به شقيقته الحاجة بدرية ... كانت هي تحبه مثل ولدها ، وكان هو يحترمها ويحبها كما يحب الولد امه ويحترمها ... كان هو خارج مقر السرب ، وعندما سألتها عما تريد قالت لي :-

- ارجو ان تخبره بأن قضيته قد انتهت .

سألتها :-

- ماهي قضيته ياحاجة ؟

اجابتني :-

- هو يعرف .

وعندما عاد ، اخبرته بذلك ، طار فرحا ، قبلني على خدي مرتين وكأنه طفل صغير حصل من والده على مايريد .

كنت لاأعرف ماهي القضية التي افرحته ، واخرجته من وقاره وخجله المعتاد ... وعندما سألته اجابني بفرح :-

- ستعرف ذلك .

قلت له وانا متشوق الى سماعها :-

لقد نقلت لك بشارة خير ، ولاتخبرني .

عندها قال :-

- لقد وافق والدها على زواجها مني .

سألته باندهاش :-

- من هي ؟

وبدأ يقص لي قصة حبه لها ... وبينما كنت استمع له جاءنا من يطلب حضورنا في غرفة الحركات لتنفيذ الواجب .

عندها قال :-

- ساكمل لك القصة بعد ان نعود ان شاء الله .

كان سعيداً ، عندما بدأ يقص علي قصته ، وسعيداً عندما ذهب الى غرفة الحركات ، وسعيدا عندما كان يستمع الى شرح آمر القاعدة لجوانب المهمة التي سنقوم بتنفيذها بعد دقائق ...

وقد غمرني احساسه بالسعادة انا كذلك ... وعندما قال (ريليز) كان سعيداً وفرحا ايضا ...

(ريليز) قالها فاحسست بانها كانت موجهة الى حبيبته التي رفض والدها في بادىء الامر تزويجها منه لانه طيار ... لكن اصرارها هي وحبه هو لها ... جعلا من والدها ان يوافق .

كانت طائرتي رابضة قرب طائرته على الارض امام احد الملاجيء ... وعندما سعد الى مقصورتها ، كنت ارى البسمة على وجهه حتى انه نسى ان يوقع في سجل الطائرة الخاص ... فتبعه احد المراتب الفنيين به الى المقصورة ... حتما ان فرحته انسته كل شيء من حوله .

قال لي ونحن في طريقنا الى غرفة العمليات :- سأتصل بها عندما اعود بعد تنفيذ الواجب ان شاء الله .

كانت كل كلمة ينقوه بها تحمل اطنانا من السعادة والفرحة ... لقد فتح كل مخزونه من السعادة وبدأ يوزعه بين الاخرين ... هل كان يعلم باستشهاده ... هل فكر قبل ان يبدأ رحلته هذه بانه سوف لن يعود اليها مرة اخرى ... سوف لن يراها او يسمع صوتها ... هل نفد مخزونه من السعادة في هذا الصباح ؟

اسئلة كثيرة كانت تتصارع في رأسي هذا المتكوم داخل الخوذة وانا اقود طائرتي مجتازا المجال الجوي الذي ظلت تتقلب فيه طائرته ... فيما كانت طائرة المقدم الطيار طارق السعدوني تحوم حولها ناسيا جميع قوانين وانظمة سلامة الطيران ... كان بطائرته يحوم حول النقيب الطيار ياسين كما تحوم الطيور حول فراخها وهو يصيح به طالبا منه ان يترك الطائرة .

حتى عندما كان يطلب منه قائد التشكيل ان يترك طائرته ويهبط بالمظلة سلامة له ، كنت احس بكلماته تمارس هي الاخرى سعادتها عبر جهاز (الأرتي) . اي دم يجري في عروقه ، واي اعصاب هي التي تنتشر

بجسمه ؟

عندما سمعناه آخر مرة يقول :- لااله الا ... وسكت ، كنت احس بانه يقولها وهو سعيد باستشهاده داخل مقصورة الطائرة ... الطائرة التي هوت كما يهوى نيزك ثقيل على الارض ، بركان هائل قلب سطح الارض ... كان سعيدا حتى وهو يستقبل الموت ... سعيداً بموافقة والدها ... وسعيداً وهو ينفذ واجبه في العمق الايراني ... وسعيداً لانه لم يترك للاعداء فرصة تحديد مستقبله وايامه القادمة ... سعيداً وهو يرفض حياة الذل بين الاعداء ... وسعيداً كانه سيعيش حياة بحرية وشموخ وعمر .

ماالذي كان يفكر به هذه اللحظة ؟ كيف استقبل الموت بقلب واسع كالحياة ، ويوجه كانت السعادة بادية عليه ... كيف ؟

هل هو مجنون هذا الطيار الشاب ، ام انها بطولة منه ؟

كان همه الاول والاخير هو الوصول بها الى داخل اراضينا ... الا يترك لهم فرصة المباهاة باسقاطه ... لقد استطاع ان يصل بها قرب حدودنا الدولية ... لحظات ويدخل اراضينا ، يدخل اجواءنا الحبيبة ...كيف خانته طائرته ... كيف سمحت لنفسها ان تسقط وتسقط معها خيالها ... كيف ... كيف ؟

كانت هي تتقلب في الجو ، وهو يحاول اعادتها الى وضعها الافقي ... فقدت ارتفاعها وسرعتها ... كانت تستوي افقيا للحظات ومن ثم تعود الى عدم استقراريتها ... وكان قائد التشكيل يصرخ به ان يتركها ... فيما هي بدأت تنحدر بسرعة نحو الارض ... وبلمحة البصر ... بين ان تغمض عينيك وتفتحهما ، رأيت طائرة النقيب الطيار سيف الناصر تنحرف في الجو بشدة ... وتفقد اتزانها وتترك خلفها خيطا من الدخان الاسود ... عندها

وبلا وعي ، صرخت ، سيف ... سيف ... اصبيت طائرتك ... في هذه اللحظة ... هذه الثانية التي تيقنت ان الزمن قد توقف عندها ، وبالسكون الذي عشعش في اجهزة (الارتي) ....

وبقلب مائت فيه نبضاته ... في هذه اللحظة بالضبط سمعت صوته يقطع خيط السكون ... يغرس سكينه الحادة في القلب ... يجمد الدم ـ لااله الا ... وسكت .

هل كان يودعنا باسم الله ؟ ... هل حقيقة انه تقدم بكل شجاعة وشموخ وثقة بالنفس الى عالم الشهداء والقديسين .

ياسين عبد الرحمن ... واختك الحاجة بدرية ... وبشارة هذا الصباح ... والفرحة التي مارستها ... هل اخذت كل شيء معك ؟

اخذتهما نياشين تطرز صدرك ... ماالذي ابقيته لنا ... ؟

ياسين ...

× × × × × × × × ×

× × × × × ×

× × ×

وتستمر المهمة ...

«طارق السعدوني»

١٩

لم يكد المقدم الطيار طارق السعدوني يحط بطائرته سالماً .. ويتركها قرب احد الملاجيء بعد ان اطفأ محركها وجميع اجهزتها حتى صعد في سيارته العسكرية وقادها بنفسه مسرعاً الى غرفة حركات القاعدة دون ان يوقع في السجل الخاص بالطائرة أو يمر على سيطرة السرب ليوقع في السجل الخاص بتنفيذ الواجبات .

كان النقيب المهندس ماجد قد لمح في وجه آمر سربه بعض الوجوم والحزن فلم يشأ ان يحدثه اويستفسر منه عن الواجب الذي تم تنفيذه كما كان يفعل في كل مرة ... وعندما حطت الطائرة الاخرى ـ الرقم اربعة ـ ونزل منها طيارها الملازم الاول خالد الموفق اسرع اليه ، بعد ان تيقن في نفسه ان هناك حدثاً ما قد حصل للطائرتين الاخريين ، الرقم اثنين والرقم ثلاثة .

كان الملازم الاول الطيار خالد الموفق ، قد لاح الوجوم كذلك على ملامح وجهه الاسمر ، وبدت عليها علامات حزن حادة ... حيث امتلأت

عيناه بسائل زلالي ، تشربته نظرات النقيب المهندس ماجد فسأله متلهفاً :-

- ملازم اول خالد ، ماالأمر ؟

وعندما لم يجبه ، تقدم نحوه وهزه من كتفه :-

- خالد ، تكلم ماالأمر ؟

عندها انطلق صوت الملازم الاول الطيار خالد بالنشيج ، ومن بين شفتين مرتعشتين صاح :-

- لقد استشهدا ... استشهد الاثنان .

وضرب جبينه المعرق بكف مرتعش عدة مرات .

كف قوية لطمت وجه النقيب المهندس ماجد بقوة ... شيء ما انغرس بين اضلعه ... خيط من قوة غير مرئية احسها تشل مافي جسده من حركة ... كل ماحوله من صور للمرئيات والاشياء قد تشوهت فبانت غير طبيعية للنظر .

لم يكن بكاء الملازم الاول خالد ، وهو يدير وجهه الى حيث جسم الطائرة والتي ترك مقصورتها قبل لحظات ، ومازالت الحرارة تسري في معدتها يتعالى قليلا ، حتى احاط به الضباط المهندسون ومجموعة من المراتب الفنيين بعد ان تبين لهم ان الطائرتين الرقم (اثنين وثلاثة) قد حدث لهن حادث ما .

تساءل الملازم الاول نضال بلهفة :- خالد ماالأمر ؟

× × × × × × × × × × ×

× × × × × × × ×

× × × × × ×

كانت المفاجأة كبيرة بالنسبة الى آمر القاعدة وآمر جناح الطيران اللذين ظلا جالسين في مكانهما بعد ان عرفا الخبر من قبل القاطع ... فبدا الصمت مخيما على جو الغرفة ...

اما المقدم الطيار طارق السعدوني ، فقد اخذت قدماه تذرع ارضية الغرفة امام الحاجز الخشبي الذي رصفت عليه مجموعة من اجهزة الهاتف بالوا / مختلفة وهي تسكن في صمت انزعجت له نفوس الجالسين في الغرفة .

كان صوت النقيب الطيار ياسين عبد الرحمن مازال يدوي في اذني المقدم الطيار طارق عبر جهاز (الآرتي) قويا ومتماسكا :-

- سيدي - سوف ان اترك الطائرة .

- ياسين هذا أمر ، ويجب تنفيذه .

ولكن لا ... فأنا اعرفه جيدا ... اعرف نقيب ياسين ... واعرف مايفكر به ... فقد كان في صوته ايماناً عميقا بما يعتقد ويؤمن ... الشهادة او الوصول بالطائرة الى ارض الوطن سالماً ... اما الهبوط بالمظلة وترك الطائرة في ارض العدو فهو أمر لم يضعه في حساباته مطلقاً ... كان يقول ، حلان لاثالث لهما .

الوصول الى ارض الوطن او الشهادة .

لم يكن صمت اجهزة الهاتف في غرفة الحركات هو مازعج سمع المقدم الطيار طارق ، واحاله الى كتلة اعصاب متوترة ... ولكن الذي مازال يزعج سمعه هو ذلك الصوت الذي جاءه عبر جهاز (الآرتي) وهو مازال يحاول اقناع النقيب ياسين بالعدول عن قراره ، وترك الطائرة ...

كان ذلك الصوت صدمة جديدة له ... صوت الملازم الاول الطيار خالد وهو يردد بارتباك :-

ـ نقيب سيف لقد أصبت طائرتك .

لامس هذا الصوت طبلة اذني قائد التشكيل ، بينما كانت جميع حواسه وهو يقود طائرته الى ارض الوطن متجهة الى النقيب الطيار ياسين ، ذلك الطيار الذي رفض تنفيذ امر ترك الطائرة ويرفض ان يتركها ... لقد امتزج صوته بصوت الملازم الاول الطيار خالد ... فهاهو يأمر النقيب ياسين بترك الطائرة ، وهاهو صوت خالد يعلن عن اصابة طائرة النقيب الطيار سيف الناصر ...

هل كان الذنب ذنبي ... هل قدتهم الى مكان الموت ؟ الم اقودهم عبر المسالك الصحيحة التي حددت لنا ... لقد وصلت بهم الى الهدف بسلام ... افرغنا حمولتنا عليه ... دمرناه ... اضرمنا النيران بين احشائه ... تسللنا بأمان ... استدرنا الى ارض الوطن ... كل شيء كان يجري بدقة وامان ... فما الذي حصل ، كيف تصاب طائرتان في واجب واحد ... كيف ... كيف ؟

واندفعت قبضة يده تضرب الهواء المحيط به ...

كان صوته قد سمعته آذان من في غرفة الحركات ... فجاء صوت آمر القاعدة ليخرجه من دوامة الحيرة والقلق التي تلبسته :ـ

ـ مقدم طارق ، لاتكن عنداً ، فالذنب ليس ذنبك ... لقد قدتهم الى الهدف بسلام ، واخرجتهم منه بسلام .. فلا لوم عليك .

كان يعرف ان مثل هذ الكلام تهدئة لاعصابه التي بدأت تثور فيها جميع خلاياها ... ويعرف متيقناً ان كل شيء قد حصل .

ـ سيدي انا لست بعنيد ... ولكن قل لي ، ثم سكت ، لم يكمل حديثه .. كانت الغصة تشل حركة لسانه ، شيء ما احس بلزوجته يمسك بلسانه في فمه ... مرارة لم يطق تذوقها ... ثم ضرب كفاً بكف وكانه ينفض شيئا قد التصق بهما ... وقال :ـ

ـ لاحول ولاقوة الا بالله . نظر الى مجموعة الهواتف التي امامه ، وكمن يبحث بينهما عن شيء ما ضاع منه ، صرخ بها :ـ

ـ مابالك لاترنين ؟

ثم التفت الى آمر القاعدة وسأله :ـ

ـ سيدي ، الم يخبروك عنهم ... لقد رأيت احدى المظلات تنفتح في الفضاء ... ربما كان احدهم .

نهض آمر القاعدة من مكانه ، واتجه الى حيث يقف المقدم الطيار طارق قرب الحاجز الخشبي وبصوت حاول ان يزيل عنه حالة التوتر والقلق قال :ـ

ـ مقدم طارق تعال واجلس ... استرح قليلا ...

ـ كلا سيدي ، سوف لن ارتاح ، ارجو ان تعيد الاتصال بهم ... ربما نسمع منهم بعض الاخبار .

ومع نفسه ردد بألم :ـ

ـ وكيف ارتاح ، كيف ، كيف ؟

دار بطائرته دورة كاملة ، خالف جميع سياقات وتعليمات سلامة الطيران ... كانت الارض التي من تحته تتوهج باكثر من فوهة نار ... وكانت الارض التي استقبلتها قد انقلبت كالبركان ... تصاعدت كتلة من نار متوهجة ... دخان ملأ المنطقة ... وكان صوت النقيب الطيار ياسين قد ملأ اجهزة (الأرتي) :ـ اشهد ان لااله ...

وانقطع كل شيء ... سكت جهاز (الأرتي) وخيم صمت في الآذان ... ظلام دامس احاط بالطائرة من كل جانب ... وبينما كان المقدم الطيار طارق يدور بطائرته مرة اخرى رأى مظلة تنفتح في الفضاء ... هل هو نقيب سيف ؟

اهل مع نفسه ... ثم وجه طائرته الى ارض الوطن على مضض ... لم يكن

يريد العودة ... اثنان من خيرة طياري سربه مازالا على ارض العدو ومازال مصيرهم مجهولاً له .

كان الحزن قد شل في جسده كل حركة ... احس بالم يضغط على قلبه ... قلبه الذي احس بنبضاته تتسارع ، ورنين الهاتف قد ملأ جو الغرفة المحيط به .

قبل ان تصل يده الى سماعة الهاتف ، كانت يد آمر القاعدة قد امتدت اليها ... رفعها فارتفع وجيب قلبه ... نظر الى وجه آمر القاعدة ، كانت ملامحه قد فضحت مافي ذلك الصوت الذي عبر اسلاك الهاتف .. لاحت على وجهه مسحة من الفرح المشوب بحزن ... اختلجت له عيناه الصغيرتان ... وقبل ان يعيد السماعة الى مكانها ... قال بوجه حاول ان يرسم عليه بعض ملامح الفرح :-

- النقيب سيف في طريقه الينا .

فصاح المقدم الطيار طارق بفرح ، وكأنه ينتزع جسده من قيود احاطت به :-

- الحمد لله ، وياسين ... سيدي ماهي اخبار ياسين ؟

اجابه آمر القاعدة :-

- لااخبار عنه حتى الآن .

خيم الصمت مرة اخرى على الوجوه التي تعكرت ملامحها في غرفة الحركات التي كانت قبل ساعات تحتضن مجموعة من الطيارين ...

كان ... سيف ... وياسين ... خالد ... طارق ... فاضل ... علي .

كانت اقداح الشاي التي وزعها المعين مازالت في اماكنها ... فلم يسمع لحركة ملاعقها من صوت ... فبرد مافيها من سائل اسود ...

وعاد المقدم الطيار طارق السعدوني الى قطع المسافة بين جداري الغرفة ذهاباً واياباً ... وهو يلوك الكلمات في فمه دون ان يسمع لها صوتاً ... عند ذاك ملأ جو الغرفة صوت رنين الهاتف الخاص بجهاز نقل الصورة ... وبدا يعمل ناقلاً لهم امراً بتنفيذ واجب آخر .

× × × × × × × × × × × × × × ×

الفهرست

١ ـ مواقف/ الحياة ، الحب ، الفضاء ٧
٢ ـ رجال مجهولون/ الواجب ، الحياة ، الانتظار ٤١
٣ ـ ياسين عبد الرحمن .. مذكرات غير مكتوبة ٦٥
٤ ـ سيف الناصر/ الفضاء ، المجهول ، الوطن ٩٥
٥ ـ اشهدان ... «خالد الموفق» ١١٩
٦ ـ وتستمر المهمة ... «طارق السعدوني» ١٣٧

رقم الإيداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٩١٧ لسنة ١٩٨٨